

مقدمة

في البداية و من اجل الوصول الى دراسة مصطلح التناص لا بد من المرور على النص و تتبعه . و النص هو تراكم معرفي يتراوح بين النظام و الفوضى و بين الوعي و اللاوعي و التناص هو مصطلح و افد على العرب من الغرب كغيره من المصطلحات فكان على الدارسين للبحث في جذوره الفكرية في تراثنا و ربطه بمدلوله في الوقت الحاضر و هو ما أولته المناهج النقدية اهتماما بالغا.

و التناص كتقنية حديثة في مقارنة النصوص الابداعية، و هو ظاهرة يلجا اليها المبدعون في نصوصهم من اجل الاستعانة به في توصيل افكارهم و تمرير مقاصدهم فهو يعتبر احد التقنيات التي تسهم في اضاءة دلالات النصوص و كشف جوانب مهمة للقارئ المتلقى.

ومن الأسباب التي جعلتني اتطرق لدراسة هذا الموضوع هو تقديري الكبير لاعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وخاصة العلامة البشير الابراهيمي الذي قام بمجهودات جبارة في مجال التعليم و الإصلاح الديني رفقة إخوانه في الجمعية و قد شكلت كتاباته طفرة في صحراء الوطن الجزائري إبان الاحتلال ، و البناء الادبي لا يصنعه فرد بقدر ما يساهم في صنعه غالبية افراد المجتمع حتى و ان تشابكت مساهمات كل واحد منهم تبعا للقدرة و الإمكانيات في مجال الاختصاص و قد رفع لواء العربية الشيخ البشير الابراهيمي وصاغها صياغة فنية رائعة فقد اوتي من البلاغة في اللفظ والدقة في المعني لا مثيل له في العبقريّة العربية الحديثة ورغم هذا فان المهتم بالدراسات الادبية في ميدان الادب الجزائري يحس بقلّة العناية بانتاج الكتاب الجزائريين وفي طليعتهم البشير الابراهيمي .

وقد سعي البحث للاجابة علي هذه الاشكالية :

ما هي استراتيجية التناص؟ وماهي المدارس النقدية التي عملت علي شرحه وتوضيحه؟ وهل تأثر ادب الابراهيمي بغيره من الاداب العربية او النصوص الدينية كالقران والسنة النبوية الشريفة ؟

ولقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج المقارن الذي وجدته هو الانسب لهذه المقاربة فهو يعتمد علي المقارنة بين النصوص المختلفة، كما استعنت في بحثي هذا علي كتب البشير الابراهيمي خاصة اثار البشير الابراهيمي بأجزائه المختلفة .

ومن هنا كان الاعتماد علي خطة بحث اشتملت علي مقدمة ومدخل تمهيدي وفصلين وخاتمة إذ

تناولت في المدخل التمهيدي بعض الجوانب الحياتية لابراهيمي. كما سلطت الضوء على بعض جهوده في مجال التعليم والتدريس. كذلك عرجت على رحلته إلى المشرق العربي والتقدير الذي لقيه هناك عند الأشقاء العرب المشاركة لأنهم يقدرون العلم والعلماء، وتطرقت إلى الجوانب الأدبية التي لمع فيها علامتنا .

أما في الفصل الأول وهو فصل نظري فكان الهدف منه تحديد للمفاهيم أولا تعريف التناص لغة واصطلاحا وثانيا استراتيجية التناص وثالثا مظاهر التناص ورابعا أشكال التناص ، وتدعيما للجانب النظري الذي تضمنه بحثي، ارتأيت تخصيص قسم تطبيقي يتمثل في الفصل الثاني حاولت من خلاله

مقدمة

الكشف عن تجليات التناسل في كتابات الإبراهيمي أي دراسة تحليلية مقارنة في أدبه قناعة مني أن لا نجاح يتحقق لأي موضوع ما لم يشفع بدراسات تطبيقية تدعمه. حيث تناولت في أوله تمهيد قصير يورد إشكالية هذا الفصل والغاية من عملي المتواضع هو تسليط الضوء على تأثير أدب الإبراهيمي بغيره من الآداب وانبهاره بالأسلوب القرآني. الذي هو أكبر ملهم للشعراء والأدباء فكون الإبراهيمي خريج المدرسة القرآنية ونظرا لنشأته المحافظة وتشبعه بالعلوم الدينية مع كفاءته في اللغة العربية. وتمكنه من ناصية البيان الفصيح سمحت له بالاطلاع الواسع على كنوز التراث العربي فتسريت بشعور منه أو بدون شعور إلى مقالاته وأصبحت ظاهرة للعيان لكل من يطلع على كتاباته، فسلطت الضوء على هذا التأثير والتأثير.

وقد حاولت الاستفادة من الدراسات السابقة على قلتها وعلى اختلاف منطلقات أصحابها واختلاف تياراتهم النقدية حسب ما تقتضيه طبيعة النص السردى عند الإبراهيمي من خصوصية شكلية ومضمونية. وفي سبيل إنجاز هذا البحث واجهتني صعوبات جمة و لعل أهمها:

* صعوبة الحصول على بعض المراجع.

* إضافة إلى قلة الزاد العلمي والأدبي الذي أمتلكه وقلة الخبرة والتجربة في إنجاز المذكرات الأكاديمية.

* تشعب التناسل واختلاف مفاهيمه تبعاً لاختلاف إيديولوجيات الدارسين له في الحقلين الغربي والعربي.

* عدم اهتمام الباحثين بنشر جميع أعمال الإبراهيمي، الذي أدى لعدم الإلمام بأدبه و إنتاجه الفكري فالاطلاع على بعض الأعمال دون الأخرى يجعل النظرة ضيقة.

أما الخاتمة فكانت عبارة عن حوصلة للبحث ذكرت من خلالها أهم النتائج التي خلصت إليها. ولعلي بهذه الدراسة المتواضعة قد ساهمت ولو بالقدر اليسير في تقديم صورة عن هذا الإبداع الفكري ومدى تأثيره بغيره من النصوص السابقة.

وهذا لا يعني إنني وفيت الدراسة حقها من التحليل والتدليل فكل جهودي تبقى مجرد مقارنة ومحاولة لإبراز بعض الجوانب العبقرية والنبوغ ودرجة التأثير البادية في أعمال شيخنا البشير الإبراهيمي رحمة الله عليه .

ملحق المصطلحات

النص أو التناص : text ; texte مشتق من textus

النسيج : textus المشتق من Tissu

التصحيفة Amogramme

الممارسة الدالة : Pratique Signifiante

الانتاجية : pioductivité

التدليل : Signifiance

النص الظاهر : phéno-texte

النص المولد : Géno-texte

التناص : intexte

السرقة الأدبية : le plagiat

مبدأ التحويل : Transposition

معمار النص : Architexte

التنقل : transtextualité

المعمارية النصية : Architextualité

الميتانصية : Metatextualité

المخلص

في البداية يجب أن أوضح أن التناص هو ما أسماه السابقون بالسرقات ، وهو مصطلح جديد لظاهرة أدبية ونقدية قديمة . وتداخل النصوص موجود في التراث العربي . والتناص الادبي هو تداخل نصوص ادبية قديمة او حديثة شعرا او نثرا مع النص الاصيلي.

اذن مفهوم التناص يدل على وجود نص أصلي في مجال الأدب أو النقد على علاقة بنصوص أخرى ، وهذه النصوص مارست تأثيرا مباشرا أو غير مباشر على النص الاصيلي في وقت ما.

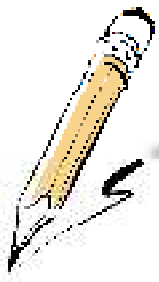
وهذه الدراسة تناولت التناص عند البشير الابراهيمي من خلال الوقوف على مستويات التناص ذاتي وداخلي او خارجي عبر الكشف عن مدى حضور النصوص الاخرى وغيابها في النص الادبي والدور الذي تلعبه في تشكيل المعنى داخل النص ومدى استفادة الكاتب منها.

résumé:

Au début , je dois expliqué que l'intertextualité est ce qu'il appelle les anciens de vols, ce qui est un nouveau terme pour le phénomène de l' ancienne littérature et monétaire . Les textes chevauchement existe dans le patrimoine arabe . Intertextualité et textes littéraires de chevauchement littéraire est la poésie ancienne ou moderne ou de la prose avec le texte original.

Donc, le concept d'intertextualité indique la présence du texte original dans le domaine de la littérature ou de la critique sur la relation avec d'autres textes et les textes influence exercée directement ou indirectement au texte original dans un certain temps. . Cette étude portait sur l'intertextualité quand Bashir Ibrahimi en se tenant debout sur les niveaux de l'intertextualité et la détection de la présence et de l'absence d'autres textes dans le texte littéraire et le rôle qu'elle joue dans la formation du sens dans le texte cross-over auto-interne ou externe, et la mesure dans laquelle l'écrivain.

الفصل الأول



تطور نظرية التناص



أولاً: تعريف التناص

1- لغة

2- اصطلاحاً

ثانياً: إستراتيجية التناص

1- التناص عند العرب القدامى

2- التناص في النقد الغربي

3- التناص في النقد العربي المعاصر.

ثالثاً: مظاهر التناص،

1- النص الثاقب

2- السياق

3- المتلقي

4- شهادة المبدع

رابعاً: أشكال التناص

1- التناص الداخلي

2- التناص الخارجي

3- التناص الضروري الاختياري

أولاً: تعريف التناص:

1- لغة:

ليس النص نسيجاً لغوياً يعادل معنى ما، ولكنه نسيج متشابك من العلاقات المتداخلة " العلاقات الجدلية بين الحضور والغياب، الحضور الفردي والغياب الجماعي أو الابداع الفردي والذاكرة الشعرية"¹ وهذا الحضور الفردي هو فعالية الكاتب ويتمثل في الشفرة الخاصة .

وحيث يتحدث بحماس عن التناص باعتباره ثورة على هيمنة التحليل البنيوي اللساني الذي تدعم مع الشكلانية الحديثة يتبادر إلى ذهن بعض الدارسين أنه بديل له أو على الأقل مدخل أساسي يستتبعه.²

و"النص" أو "التناص" في اللغة يعني البلوغ والاكتمال في الغاية،³ وقال الفيروز آبادي "نص" الحديث رفعه وناقته استخرج أقصى ما عندها من السير والشيء حركه ومنه فلان ينصُ أنفه غضا، وهو نصاص الأنف والمتاع جعل بعضه فوق بعض، أما عند ابن المتطور: نصص: النص: رفع الشيء، نص الحديث ينصه نصا: رفعه وكل ما أظهر فقد نص: وقال عمر بن دينار: ما رأيت رجلا نص للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند،⁴ وقال الأزهري أصله منتهى الأشياء وميلغ أقصاها ومنه قيل: نصصت الرجل إذا استقصيت مسأله عن الشيء حين تستخرج كل ما عنده وكذلك النص في السير إنما هو أقصى ما تقدر عليه الدابة وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام.⁵

¹ - كمال أبو ديب: في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1987، ص 107.

² - عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص 05.

³ - فيروز آبادي: القاموس المحيط، ج2، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 331.

⁴ - ابن منظور: لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ص 648.

⁵ - مصطفى السعدني: التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، توزيع دار المعارف، الإسكندرية، 1991، ص 73.

والنص الشعري تراكم معرفي يتراوح بين النظام والفوضى، وبين الوعي واللاوعي ومضمار معرفي معقد والتيار المعرفي أخذ وعطاء اتصال واستمرار لا يعرف الانقطاع والانفصام وهو لبنة من هذا الطود الشامخ الذي يسمى "الآداب العالمية" التي تقوم على علاقة التناغم وبناء جسور الحوار فيما بينها عن طريق التأثر والتأثير ببعضها البعض، ويعود هذا بالدرجة الأولى إلى "وحدة الجوهر الإنساني، وخلود العواطف البشرية وتشابهها رغم التباين والاختلاف بين الناس".¹

و"النص" أو "التناص" في اللغة يعني البلوغ والاكتمال في الغاية. والتناص في الأصل اللاتيني للغات الأوربية Text, Texte مشتق من Textus بمعنى النسيج المشتقة بدورها من Tissu بمعنى "نسيج"، فالاكتمال والاستواء مما يتضمنه النص اللاتيني الذي يعني صراحة "النسيج" وهو صناعة يضم فيها خيوط النسيج حتى يكتمل الشكل الذي يراد صنعه وإبداعه.²

وحيث نجد مادة (ن،ص،ص) فالنص جمع نصوص ونقل نص الحديث إلى صاحبه أي رفعه وأسنده، ونص المتاع أي جعل بعضه على بعض، والنص من كل شيء منتهاه، وهذا ما يحيلنا إلى ترسبات النصوص فوق بعضها ويقال تناص القوم أي ازدحموه.

2- اصطلاحا:

التناص مصطلح نقدي حديث وافد من الغرب فرض حضوره مجمل الدراسات الغربية والعربية مؤخرا، ولقد اختلفت النظريات والمفاهيم والتفسيرات حوله باختلاف التيارات الفكرية والمدارس النقدية أساسا في الغرب وقبل الحديث عن دلالة التناص لغويا لا يمكننا من

¹ - جمال مبارك: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة، الجزائر، ص 37.

² - مصطفى السعدني: التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، ص 73.

التعرف على المعنى الاصطلاحي بشكل حاسم فعلى الرغم من قدم المادة لم يكن لها مرجعا يتصل بالبيئة الأدبية.¹

وللوصول إلى تحديد دقيق لمصطلح التناص فإننا نجد أن محدد الشعر هو صياغته وتركيبه أو نظمه وعلاقاته التي يعمل بمقتضاها التناص حتى يصير إلى خطاب أو نص. يكون كالسبيكة المفرغة والوشى المنمنم والعقد المنظوم واللباس الرائق فتسابق معانيه ألفاظه وتكون قوافيه كالقوالب لمعانيه وتكون قواعد للبناء يتركب عليها ويعلو فوقها فيكون ما قبلها مسوقا إليها ولا تكون مسوقة إليه، وعلى هذه الهيئة التي صار إليها التناص في النقد العربي يكون تنامي الأدوات قد بلغ غايته واتضح اتساقه كمال العقل ولزوم العدل وإيثار الحسن.²

ولذا فإن المفهوم المناسب لموضوع التناص ينصب على أن التناص يحرز دورا على صعيد الدلالة الشعرية وهو ما يجسده قول جوليا كريستيفا " إن الدلالة الشعرية تميل إلى معاني القول المختلفة ومن حسن الحظ أنه يمكن أن نقرأ أقوالا متعددة في نفس الخطاب الشعري، وبهذا يتخلق حول الدلالة الشعرية فضاء نصي متعدد الأبعاد.

يمكن لعناصره أن تتطابق مع النص الشعري المتعين " ومن جهة أخرى يمكننا أن ندرج تصور دي لوسير في الاستبدال خاصة جوهرية في توظيف اللغة الشعرية التي نفسها من ناحية أخرى كمجال لمعنى مركزي ... فإننتاج النص الشعري يتم خلال حركة مركبة من إثبات ونفي نصوص أخرى.³

¹ - تومي نورة: التناص الديني في متن العارفين لعقاب بلخير، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2013، ص 05.

² - مصطفى السعدني: التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، ص 76.

³ - المرجع نفسه، ص 78.

ومن جهة أخرى فإن التناس مصطلح نقدي أطلق حديثاً وأريد بهت عالق النصوص وتقاطعها وإقامة حوار فيما بينها وان كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات وكل نص هو تشرب وتحويل نصوص أخرى.¹

وحين نريد أن نجري مقارنة بين أدب قومي واحد وان كانت بينهم صلات تاريخية. فالموازنة بين حافظ وشوقي أو بين راسين وفولتير يتخلى عنها مؤرخ الأدب المقارن وان كان التناس جاء على أنقاض فكرة التأثير والتأثير فان مجاله يتناول النصوص وتداخلها وتأثيرها في بعضها في الثقافات المتعددة، أو في إطار الأدب القومي الواحد.

فتخلق النص لا يحدد مجاله، المهم تشكله من خلال تداخله مع عدة نصوص فيحيلنا التناس على أعماقه وترسباته، يمكن معه قراءة خطابات متعددة كما تقول كريستينا.²

ونجد أن في النصوص يحدث علاقة تأثير وتأثر ، والأدب المقارن لا يقوم إلا على أساس التباين في اللغة والانتماء وتجاوز الحدود الإقليمية خاصة المدرسة الفرنسية فهو يهتم بدراسة تأثير الأدب القومي الواحد بالآداب العالمية على أن تكون هناك صلات تاريخية حتى يؤثر أحدهم في الآخر ، والتأكيد على وجود صلات تاريخية ولدت التفاعل بين هذه النصوص.³

وكل نص سيكون ذاتا موحدة مستقلة لكنه قائم على سلسلة من العلاقات بالنصوص الأخرى سواء تم ذلك بالحوار أو بالتعدد، أو بالتدخل أو الامتصاص.⁴

ومنه فان مفهوم التناس يتنوع بتنوع المداخل ، فالبعض يتعامل معه في إطار الشعرية التكوينية وعند البعض الآخر ضمن جماليات التلقي كما يتجه المفهوم للاقتران

¹ - جمال مبارك: التناس وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، ص 37-38.

² - وناسة صمادي: التناس في رواية الجازية والدرابيش، جامعة باتنة، 2003، ص 19.

³ - المرجع نفسه، ص 19.

⁴ - مصطفى السعدني: التناس الشعري، ص 78.

بمفهوم الحقل بوصفه معارضة سجالية لمفهوم البنية التي تعترض على أفكار الإدماج والاقتران والجدولة غير أن هذه الاختلافات لا تحرمه من الوظيفة النقدية المتماسكة.¹

وهذا التصور لا يتم إلا من خلال الإدراك المتقدم لفهم الأسس التي تقدم عليها عملية التناص. فالنص أو النسج في التصور العربي القديم هو بؤرة عميقة تتجمع فيها عناصر التاريخ الماضي تم ذلك بوعي من الشاعر أو بدونه، غير أن طريقة التكنيف هذا الماضي واحتوائه، هي التي اهتم السلف درءا للكسل في التأليف وحكما على التسيب الأخلاقي. لكنهم لم يغفلوا ضرورة الإبداع. ولهذا كثر حديث بلاغيين عما يسمى "بسلامة الابتداع من الابتداع" و"حسن الإتياع" كما كانت كثرة المصطلحات التي تعالج عملية التناص تنطوي على وعي. مما يتطلبه "الإبداع" من الشاعر تنزيها له عن الوقوع في التكرار.²

ومنه نستنتج من كل هذه المعطيات أن مصطلح التناص بمفهوم الحديث أداة نقدية صالحة لإعادة قراءة ظاهرة السرقات الشعرية في تراثنا العربي.³

والنص ليس نسيجا لغويا يعادل معنى ما، ولكنه نسيج متشابك من العلاقات المتداخلة "العلاقات الجدلية بين الحضور والغياب". الحضور الفردي والغياب الجماعي أو الإبداع الفردي والذاكرة الشعرية. وهذا الحضور الفردي هو فعالية الكاتب ويتمثل في الشفرة الخاصة. وكما يذكر عبد الله الغدامي بينما الذاكرة تتمثل في النصوص السابقة والتي لها تأثيرها الخاص على إبداع كل كاتب وكل عصر. أنها الغياب الذي يجمع النص بخارجه ويربط بها سبقه وما يعاصره من الملفوظات والنصوص. وهو ما يسمى في لغة النقد الحديث بالتناص أو تداخل النصوص.⁴ والواقع أن مصطلح التناص ارتبط بجوليا كريستيفا التي

¹ - مصطفى السعدني: التناص الشعري، ص 78.

² - المرجع نفسه، ص 81.

³ - المرجع نفسه، ص 82.

⁴ - فتحة كلوش: بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، ط1، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2008، ص40

تضع مصطلحا آخر غير بعيد عن سياق التناص انه "ايدولوجيم". أما سعيد يقطين فيرحه بان وظيفة التناص التي نلاحظها على جميع مستويات النصوص.¹

ثانيا: إستراتيجية التناص.

1- التناص عند العرب القدامى:

التناص مصطلح غربي لكنه ذو مدلولات لها جذور في النقد العربي القديم. فتناوله النقاد تحت باب السرقات الأدبية والمعارضة والمناقضة والتضمين والاقْتباس وغيرها من المصطلحات النقدية التي أوردها ابن رشيق في عمدته.²

إن الأساس الذي يجعل أي مصطلح نقدي جديرا بالبحث والدرس والتطبيق على النصوص الإبداعية، هو أن يكون هذا المصطلح قد كتب له الذيوع والانتشار و ثم يحق للباحث التعرف على ماهيته ، وتبين ملامحه ، بدءا بالغوص في جذوره الأولى.³

ونحن الآن نجد أنفسنا ملزمين برصد هذا المصطلح داخل البلاغة العربية وهي لا تزال بكرا وأرضا بورا يلزمها الكثير من الحداثة، والذي كما يظهر لنا النبت الذي أنبتته لنا الدراسات البلاغية العربية أيام عزها وشبابها، فالدارس للخطاب البلاغي العربي القديم في مصادره الأصلية يجد قضية تداخل النصوص وتراكمها فوق بعضها البعض قد انتبه إليها بلاغيونا القدامى، وشغلت حيزا كبيرا من دراستهم النقدية ، وكان هدفهم الأول هو الوقوف على مدى أصالة الأعمال الأدبية المنسوبة إلى أصحابها ومبلغ ما يدين به أصحابها لسابقيهم من الأدباء من التقليد والإتباع.⁴

1 - فتحية كحلوش: بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، ص 42.

2 - ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار السين العلمية، ط1، لبنان، 2001، ص 2165-217.

3 - جمال مبارك: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، ص 48.

4 - بدوي طبانة: السرقات الأدبية، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1986، ص 03.

والشاعر العربي قديما تناول موضوعات بعينها غير أن كل قصيدة تقوم على جمالية متميزة تكونت حسب قدرة الشاعر الإبداعية ووعيه مثلا الوقوف على الأطلال.¹

فالشاعر العربي لم يكن بمنأى عن تعالق النصوص فهو لا ينتج بمفرده وإنما بواسطة تلك الطاقة الخلاقة الكامنة في أعماقه، فهو يأخذ من سابقه فيعمل على مثالها ويحتذي بها، وبهذا تتصهر هذه النصوص في باطن المبدع وتكون الأحقية للمبدع الذي استطاع استيعاب هذا الزخم ممن سبقوه، ومن النقاد من اعتبر هذه الأشكال عبارة عن سرقات تنقص وتحط ممن ضمنها إبداعه ومنهم من عدها ضرورة إبداعية.²

ومن ثمة فقد شغلت قضية تفاعل النصوص وانفتاحها على بعضها البعض نقادنا القدامى كما شغلت بال النقاد المحدثين اليوم فقد أشار صبري حافظ إلى أن التناص من المفاهيم الحديثة التي نجد لها بعض الملامح في نقدنا القديم.³

كما تنبه بعض الشعراء إلى ظاهرة التداخل النصي والأخذ منذ العصر الجاهلي حيث قال عنتر بن شداد:

هل غادر الشعراء من متردم

وكما قال كعب بن زهير قائلاً :

ما أرانا نقول إلا معارا *** أو معادا من لفظنا مكرورا

وكذلك ابن خلدون يتفرد برؤية جديدة للإنتاجية الشعرية ووجه تعلم الشعر، حيث يرجع صناعة الشعر إلى الصورة الذهنية ... فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية ويرجع إلى صورة ذهنية، وهي ينزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها

¹ - وناسة صمادي: التناص في رواية الجازية والدرابيش، ص 02.

² - المرجع نفسه، ص 02.

³ - صبري حافظ: التناص وإشارات العمل الأدبي، عيون المقالات، عدد 02، دار البيضاء، 1986، ص 80.

وبصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال.¹ فهو لا ينفى الابتكار والتجديد في حين يقول أن المبدع لا مناص له من العودة إلى الموروث الأدبي .

ويضع ابن خلدون شرط لحفظ أشعار العرب حتى لا يبقى المبدع في ظل النمطية والاجترار وهذا الشرط يتمثل في حفظ هذه الأشعار ثم نسيانها لتتهذب ملكة اللسان، فالمبدع لا خلاص له من التناس، فالنص الجديد لا يتولد إلا من نصوص غائبة يضيف عليها جديدة وهذا لا يعني وضع النصوص الغائبة وضع المقدس غير المباح الاقتراب منه.² ومن هنا جاءت دعوة هؤلاء العلماء إلى ضرورة شحذ حافظة الشعر بمختلف المحفوظات من القرآن الكريم وجوامع الكلم وشعر الفحول ورسائل البلغاء ونظمهم والإحاطة بأخبار العرب وأنسابهم، متى اكتملت عدة المبدع من حيث المعاني تجاوز ذلك إلى الامتلاء صناعة الفن الذي يمارسه.

-السراقات الأدبية :

إن فكرة تداخل النصوص ليست غريبة عن التقاليد النقدية العربية القديمة ونجدها متصلة بالسراقات الأدبية وهو يختزل جزء من الرؤية النقدية البلاغية العربية حول العلاقات النصية .

إن الإبداع العربي ملتبسا بعضه ببعض وهذا ما يفسر حرص النقاد العرب على التنويه بدور الحفظ والرواية والتشبع بأساليب الفحول في تكوين الشعراء المجيدين لتتسع حافظتهم وتترسخ النصوص في ملكاتهم بحيث يسهل النظم على منوالها بعد نسيانها وكان من نتائجها أن أصبح النموذج الشعري القديم يفرض سلطته الفنية على كل كتابة إبداعية جديدة .

¹ - ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، دار العودة، بيروت، ص 474.

² - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناس، ط1، دار التنوير للنشر، لبنان، ص 123.

والشاعر العربي مطالب بالنظم وفق نموذج شعري قديم ومحكوم عليه بتحقيق الإجابة الفنية في توظيفه لهذا النموذج ، وفي هذا السياق نشأت السرقات الأدبية.¹

وربما نال مصطلح السرقة ومرادفاته وجاهة لدى نقادنا وبلاغيينا لأن أكثر الشعراء ليس يدرون كيف يجب أن يوضع الشعر ويبدأ النسيج، وهذا التصوير لا يتم إلا من خلال الإدراك المتقدم لفهم الأسس التي تقوم عليها عملية التناص، فالنص "أو" "النسيج" أو "الصورة" في التصور العربي القديم هو بؤرة عميقة تتجمع فيها عناصر التاريخ الماضي تم ذلك بوعي من الشاعر أو بدونه غير أن طريقة تكثيف هذا الماضي واحتوائه هي التي أهمت السلف درءا للكسل في التأليف وحكما على التسبب الأخلاقي ، لكنهم لم يغفلوا ضرورة الإبداع ولهذا أكثر حديث البلاغيين عما يسمى "بسلامة الابتداع من الإلتباع".²

والسرقة باب نقدي يحتاج من الناقد تحري الموضوعية ودرء العصبية والتحامل على الشعراء، وهذا أمر لا ينهض بها لا الناقد البصير الذي أحاط علما بمراتب الكلام ومنازله ونشير أن أغلب الكتب النقدية التي ألفت في السرقات هي نتاج حركات نقدية أثرت حول شعراء كبار أمثال أبي نواس والبحثري وأبي تمام والمنتبي. وقد نجد بعض الكتب ألفت بدافع التحيز لشاعر دون آخر، والعيب في اتخاذ السرقات مدخلا للتنقيص من شهرة الشعراء إرضاء لرغبات سياسية وأخلاقية كما حدث في بعض الكتابات التي ألفت حول شعر المنتبي.³

وقد ارتبطت ظاهرة التناص عند النقاد القدامى بالسرقات الشعرية وقد بين القاضي الجرجاني في عرضه لتاريخ السرقة في الشعر العربي أنها داء قديم لم يسلم منه شاعر، وظاهرة التناص تتطلب استعادة النصوص السابقة في إبداع الشعراء اللاحقين حقيقة تناصية

¹ - عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، ص 30-31.

² - مصطفى السعدني: التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، ص 81-82.

³ - المرجع نفسه، ص 32.

وهناك من النقاد من أخرج السرقة من دائرة الاتهام باستخدام مصطلح الاحتذاء، الاقتباس ... ومنهم عبد القادر الجرجاني ، وعبد العزيز الجرجاني ، أبو الهلال العسكري وقد أشار هذا الأخير إلى أخذ البيت بلفظه ومعناه بين شاعرين حيث يكون أحدهما على غير علم ببيت الشاعر الآخر أو يعلم ذلك كما أشار عبد القادر الجرجاني إلى المعنى المشترك بين شاعرين لا يكون على صورة واحدة.¹

2-التناص في النقد الغربي :

مفهوم التناص بدأ حديثا مع الشكليين الروس وبالضبط مع شلوفسكي الذي فتق الفكرة ثم أخذها عنه باختين الذي حولها إلى نظرية حقيقية، تعتمد على التداخل القائم بين النصوص ثم أخذته جوليا كريستيفا لتمضي به أشواط واسعة في دراستها النقدية وخاصة الروائية منها.²

ونقد جوليا كريستيفا صاحبة نظرية التناص والتنظير المنهجي له، ونشرت في كتابها سيموتيك sémiotique واعتمدت في تحديدها لمصطلح التناص على مقدمة باختين أي أن النص هو استرداد ونقل تعابير ماضية أو متزامنة مع النص المكتوب فهو اقتطاع وتحويل وهذا ما يشكل النص وينتمي إليه انتماء جمالي فكري .

ولقد حظيت ثنائية الحضور والغياب في النص الأدبي باهتمام النقاد المعاصرين فظهر مفهوم -التناص- في الدراسات النقدية المعاصرة تحت مصطلحات شتى، وبدأ يتضح عندما راح النقاد يدرسون علاقات التأثير بين الآداب العالمية، ويقارنون بينها فيما يعرف بالأدب المقارن ثم تبلور مفهومه مع المدرسة الشكلانية الروسية باسم الحوارية Dialogisme.

¹ - تومي نورة: التناص الديني في متن العارفين لعقاب بلخير، ص 16.

² - جمال مبارك: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، ص 38.

وكما أشرنا سابقا أن شلوفسكي أول من وظف المفهوم ثم تبعه مخائيل باختين وهو فيلسوف ولغوي ومنظر أدبي روسي ولد عام 1895 بمدينة أريول ،عمل في سلك التعليم وأسس (حلقة باختين) النقدية توفي عام 1975 بموسكو روسيا¹ . ثم جاء بعدهما أريغي وعرفه بأنه مجموع النصوص التي تدخل في علاقة نص معطى.

1-التناص عند جوليا كريستيفا:

عند قراءتنا النصوص ومعرفتنا العلاقات التأويلية للنصوص الغائبة، هناك أنماط تكشف عن هذه العلاقات ومن خلال مصطلح التصحيفية Amogiemme والذي يعد امتصاص نصوص لمعاني متعددة داخل الرسالة الشعرية، استطاعت كريستيفا بناء خاصية جوهرية لاشتغال اللغة الشعرية واضحة بذلك ثلاثة مستويات لفهم علاقات التناص وسياقاتها، ويرجع بارت في حديثه عن نظرية النص "نحن مدينون لجوليا كريستيفا بالمفاهيم النظرية الأساسية التي يتضمنها تعريفها للنص وهي الممارسة الدالة *pratique sinifiante* الإنتاجية *productivité*، التدليل *Signifiance*، النص الظاهر *Phéno-texte* والنص المولد *Gémo-texte* والتناص *Intexte*.²

والتناص عند كريستيفا لا يتعلق بالانتحال أو ما يسمى السرقة الأدبية *Le plagiat* أو التقليد، ولهذا فإن قراءة نص معناه أن يُفتح نحو النصوص الأخرى التي اشتركت في نسجه وبناءه أو قراءة نص هو العثور في تناصيته على آثار نصوص سابقة ومقاطع مفرقة أنها ما بين النصوص.³

¹ - موسوعة ويكيبيديا يوم : 22-نوفمبر -2013، الساعة: 19:08 .

² - رولان بارت: نظرية النص، تر: منجي الشملي وعبد الله صولة، حوليات جامعة تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 27، 1988، ص 89.

³ - عبد الجليل مرتاض: التناص، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011-2012، الجزائر، ص 13.

ويعود الفضل لكريستيفا في إدخال مصطلح التناص للدلالة على ما يقارب مفهوم الحوار عند باختين، وأبسط تعريف للتناص هو أنه يقتضي وجود علاقة ما بين ملفوظين ثم بدأت بعد ذلك المحاولات الجادة للتعامل مع هذا المفهوم وتطويره، فاستعملت جوليا كريستيفا مصطلح التناص في أبحاث عدة كتبت في الفترة الواقعة ما بين 1966-1967،¹ حيث تعرفه بأنه "ترحال للنصوص وتداخل نصي في فضاء نص معين تتقاطع ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى".² وحددته بأنه "تقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى، وهو العلاقة بين خطاب الأنا وخطاب الآخر" فهو استرجاع لنصوص سابقة أو متزامنة مع النص مع المحاوره والتعبير بشكل جمالي متميز عما سبق فالنصوص في حوار مع بعضها فتخضع لقاعدة الإزاحة والإحلال، كما تعتبر من الأوائل الذين أخذوا بمبدأ التحويل Transposition بوصفه آلية من الآليات النقدية التي يقوم عليها التناص وبهذا فقد فرقت التداخل بين التناص ودراسة المصادر أو تأثيرات حيث تقول "أن كل نص هو امتصاص وتحويل وإثبات ونفي لنصوص أخرى".³

وهكذا ميزت بين ثلاثة أشكال من النفي :

أ-النفي الكلي:

وفيه يقوم المبدع بقلب معنى النص المرجعي "الأصلي" مع نفي النصوص عليه والقارئ الماهر وحده الذي يستطيع أن يكشف عن هذا التناص، والنصوص الغائبة يلمحها فقط لا تكاد تبين وضربت كريستيفا لنا مقطع لباسكال "وأنا أكتب خواطري تنقلت مني أحيانا

¹ - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة، ج2، الجزائر، ص 270.

² - جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص 212.

³ - عبد القادر بقشي: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، ص 24.

إلى أن هذا يذكرني بضعفي الذي أسهو عنه طوال الوقت والشيء الذي يلقنني درسا بالقدر الذي يلقنني إياه ضعفي المنسي ذلك أنني لا أتوق سوى إلى معرفة عدمي".¹

ب-النفى المتوازي:

حيث يظل المعنى المنطقي للمعنيين الشعريين هو نفسه إلا أن هذا لا يمنع من أن يمنح الاقتباس للنص الجديد معنى جديدا معاديا للإنسية والعاطفة والرومانسية التي تطبع الأول.

ج-النفى الجزئي:

حيث يكون جزء واحد فقط من النص المرجعي منفيًا.²

ب-التناص عند رولان بارت :

ورد مصطلح التناص عند رولان بارت لأول مرة عام 1973، وهو ينطلق من اعتقاد راسخ بأن الأدب ليس موضوعا خارج الزمن ، ولا قيمة خارجة "بل هو مجموعة من الممارسات والقيم المشروطة بمجتمع معين"³، ويشير إلى أن الكتابة الأدبية تتسخ الكتابة الأدبية السابقة عليها "ليست الممارسة الأدبية ممارسة تعبير وانعكاس وإنما ممارسات محاكاة واستتساخ لا متناه".⁴

إن النص لدى بارت هو الممارسة التي تهدف إلى خلخلة الأجناس الأدبية والنص عنده يشمل دوما على معاني لاحقة ويحتوي عدة معاني سابقة في الوقت نفسه فالمعنى يأتي ثم يتصرف ثم ينتقل إلى مستوى آخر، والنص عنده لا يتكرر إلا كاختلاف، أي لا يمكن أن يكون هو بذاته إلا باختلافه وقراءته لا تتم إلا مرة واحدة وأن ليس هناك "نحو" للنص"

¹ - جوليا كريستيفا: علم النص، ص 79.

² - جوليا كريستيفا: علم النص، ص 79.

³ - رولان بارت: دروس السيميولوجيا، ترجمة: عبد السلام بقاع عبد العال، دار توبقال، ط2، 1982، ص 34.

⁴ - المرجع نفسه، ص 36.

وبالرغم من ذلك فهو نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء وأعني من اللغات الثقافية السابقة أو المعاصرة التي تخترقه بكامله ذاهبا إلى أن التناص الذي يدخل فيه كل نص لا يمكن أبدا أن يعتبر أصلا للنص.¹

واعتبر النص "نص بلا ظل" حتى وان توفرت الأسطورة كنص مؤسس فان بارت ينفي ذلك وهذا النص في حاجة دائمة لظله وهذا الظل قليل من الإيديولوجيا فالنص الإبداعي هو نتاج مركب موجود سلفا وهو الذي يصنع النص ويتولد منه .

وبارت هو صاحب مقولة "موت المؤلف" وهو بذلك يريد قطع الصلة بين المؤلف والنص الأدبي تتكلم فيه اللغة وليس المؤلف وهو يريد إعطاء السلطة للقارئ المتمرس الذي يملك ذوقا فنيا جميلا يقدم النصوص كبديل عن المحاكاة والتعبيرية .

كما نادى بارت بفكرة "النص بصلة" ويرى أن الأغشية الرقيقة المترابطة فوق بعضها هي التي تكون النص والتي بالكاد نكاد نفصلها عن بعضها وهي تقريبا ما أسماه دريدا Derrida "طبقات النص" أو ترسبات نصية التي تستلزم التفكيك للوصول إلى أغوار النص فقراءتنا للنص ليست عملية تفكيك وهدم فقط، وإنما هي قراءة واعية لفهم النص المصاحبة عند جنيت -أو النص الظاهر Phémotexte لكريستيفا- أنها عملية صعبة ومعقدة تطلب القراءة الجديرة بالنجاح .

ج-التناص عند جيرار جينيت:

منذ الثمانينات يقدم لنا جينيت مشروعه النقدي في دراسة حول العلاقات النصية ففي كتابه مدخل إلى جامع النص 1979 يرى أن موضوع البيوطيقا هو معمار النص Architexte، ثم يعبر عن رأيه بعد ذلك في كتابه "أطراس" Palimpsestes 1932 حيث يرى أن موضوع البيوطيقا هو التناص Transtextualité فالنصوص تخترق

¹ - المرجع نفسه، ص 49-63.

بعضها بعضا والنص يهرب من ذاته إلى نصوص أخرى أو كما يقول يرى المرء على الرقعة نفسها أعلاء نص على آخر، لا تخفيه الرقعة تماما ولكنها تسمح لنا أن نلمحه من خلال شفافيتها.

فالنص يخفي وراءه نصوصا أخرى نستطيع لمحها لأنه لا يخفيها تماما ووضع مفهوم النصوص المصاحبة ووسعها لتشمل النصوص غير المعلن عليها مثل -المسودات -وقد حدد جينيت التناص في خمس مجموعات أكثرها تجريدية هي المعمارية النصية Architextualité أو الميتا نصية Metatextualité وهي علاقة توحد نسا مع نص آخر دون حاجة إلى الاستشهاد بجمل منه أو تسميته وهذا يفهم ضمنيا ، والتوالد النصي وتعني أن النص اللاحق يكتب النص السابق بطريقة جديدة ويسمى الأول بالنص العيني أو المتعالي أو اللاحق والثاني بالتحتي أو النص الخفي، وجينيت يضيق من الإطار بالنسبة لمفهوم التناص حيث يرى أنه وجود علاقة بين نص ونصوص أخرى سواء كانت ظاهرة أو خفية.¹

ويقسم التناص إلى:

الاقتباس: ويتمثل في تضمين عبارة أو فقرة بلفظها .

التلميح: ويقوم على الاستلهام وهو أقل وضوحا .

الانتحال: ويقع ما بين النمطين السابقين فهو غير ظاهر ولكنه اقتباس نصي .

3-التناص في النقد العربي المعاصر:

في النقد العربي المعاصر نجد أن التعريف بهذا المصطلح وتعدد دلالاته ومفاهيمه في الدراسات النقدية تكمن في أن أغلب الترجمات هي تلخيص لدراسات متفرقة لبعض أصحاب

¹ - سعيد يقطين: الرواية والتراث السردى، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1992، ص 28

هذه النظرية، وهذه الظاهرة اللغوية المعقدة هي بمثابة المحرك الدافع لدغدغة ما هو مخبوء داخل المبدع فيدفع للخارج.

أ-التناص عند محمد مفتاح :

يطالعنا محمد مفتاح بقراءة لمفهوم التناص أو الحوارية فقد انطلق من مسلمة تفيد بأن مسألة الحوار لا تسلم منه "اليد الأولى" ولا "اليد الثانية" ولا نص "الدرجة الأولى" ولا "الدرجة الثانية" فلا اختراع كلي ولا ابتداء كلي وعليه " فالشاعر ليس إلا معيدا لإنتاج سابق في حدود من الحرية سواء أكان ذلك الإنتاج لنفسه أو لغيره".¹

والتناص كما يرى محمد مفتاح "بمثابة الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان فلا حياة له بدونهما ولا عيشة له خارجهما" ويتم على مستوى الشكل والمضمون حسب رأيه أو كل واحد على حده ويرى أن للتناص مقاصده ومنها أنه عبارة عن موقف لاستخلاص العبر. وقد استخلص مقومات التناص من عدة تعاريف وخرج بنتيجة هي أن التناص هو:

* فسيفساء من النصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة .

* ممتص لها يجعلها من عندياته وتصير منسجمة مع فضاء بناءه .

* محولا لها بتمطيطها وتكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالاتها أو بهدف تعضيدها.²

ومعنى هذا أن التناص "الدخول في العلاقة " وهو تعالق نص مع نصوص حدث بكيفيات مختلفة ويرى أن ثقافة محافظة تقدر أسلافها فإنها تكون مجترة ونفس الشيء بالنسبة للشعراء فمنهم المتتبع المقتدي ومنهم المشاكس.³

وقد اتخذ محمد مفتاح من التداعي بقسمية التراكمي والتقابلي آلية من آليات التناص

والتي تتحكم في كل عملية تناصية وفصله إلى مكونين أساسيين:

¹ - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري - إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، لبنان، 1992، ص 124.

² - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري - إستراتيجية التناص، ص 125.

³ - المرجع نفسه، ص 120-121.

الأول: التمطيط.

ويحصل بأشكال مختلفة في الأنا كرام (ويشمل الجنس بالقلب والتصنيف) و الباراكرام والشرح والتكرار والاستعارة والشكل الدرامي وأيقونة الكتابة، وكلها آليات تشكل أساس هندسة النص الشعري مهما كانت طبيعة النواة، وكيفما كانت مقصدية الشاعر "فإذا قصد إلى الاقتداء فإنه يمتط مادحا وإذا توخى السخرية قلب مدحه إلى ذم بالكيفية نفسها".¹

الثاني: الإيجاز

ويحصل بكل أشكال الإحالة التي قسمها حازم القرطاجي إلى: إحالة تذكرة أو إحالة محاكاة أو مفاضلة أو إضراب أو إضافة.²

ب-التناص عند محمد بنيس:

محمد بنيس ولد بفاس عام 1948 درس بها حيث تحصل على شهادة الاجازة في الأدب العربي عام 1978 ، تحصل على دكتوراه الدولة سنة 1988 من جامعة الرباط³ يحدد التداخل النصي تبعا لنوعية قراءة الشعراء للنص الغائب، ففي تعدد قوانين القراءة هو في أصله انعكاس لمستويات الوعي التي تتحكم في قراءة كل شاعر لنص من النصوص الغائبة.⁴

ويرى محمد بنيس أن التداخل النصي ينسحب على كل نص شعري أو نثري قديما كان أو حديثا فقد أطلق على مصطلح التناص هجرة النص وقسمه إلى نص مهاجر ونص مهاجر إليه، واعتبره شرطا أساسيا لإعادة إنتاج النصوص من جديد بحيث يبقى هذا النص

1 - المرجع نفسه، ص 125.

2 - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري - إستراتيجية التناص، ص 127.

3 - الموسوعة العالمية للشعر العربي Adab.com.

4 - جمال مبارك: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، ص 157.

المهاجر ممتدا في الزمان والمكان مع خضوعه لمتغيرات دائمة ، وتنتم من خلال القراءة لأن النص الذي يفقده قارئه يتعرض للإلغاء .

ويتراوح هذا الاستخدام بين ثلاثة طرق هي: التناس الاجتراري: التناس الامتصاصي والحواري .

* التناس الاجتراري.

وفيه يعيد الشاعر كتابة النص الغائب بشكل نمطي جامد لا حياة فيه وقد ساد في عصور الانحطاط حيث تعامل الشعراء في تلك الفترة مع النصوص الغائبة بوعي خالي من روح الإبداع وبذلك ساد تمجيد بعض المظاهر الشكلية الخارجية في انفصالها عن البنية العاملة للنص كحركة وصيرورة ونتج عنها أن أصبح النص الغائب نموذجا جامدا تضحل حيويته مع كل إعادة كتابة له.¹

*التناس الامتصاصي:

هو خطوة متقدمة يعيد الشاعر فيه كتابة النص وفق متطلبات تجربته ووعيه الفني بحقيقة النص الغائب شكلا ومضمونا .

*التناس الجواري:

تعد أرقى مستويات التعامل مع النص الغائب حيث يفجر فيه الشاعر مكبوته ويعيد كتابته من جديد وفق كفاءته الفنية العالية وهذا النوع من التعامل مع النصوص الغائبة لا يقوم به إلا شاعر مقتدر ذلك لأن التناس الحواري هو أعلى مرحلة من قراءة النص الغائب معتمدا على النقد مؤسس على أرضية صلبة تحطم مظاهر الاستلاب مهما كان نوعه وحجمه لا مجال لتقديس كل النصوص الغائبة مع الحوار. فالشاعر لا يتأمل هذا النص

¹ - جمال مباركي: التناس وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، ص 157.

وإنما غيره.¹ فالتناص الحواري لا يقف عند حدود البنية السطحية للنص الغائب وإنما يعمل على نقده وقلب تصوره .

ثالثاً: مظاهر التناص.

التناص هو نتيجة لتفاعل نص حاضر مع نص غائب وله عدة مظاهر :

1- النص الغائب:

هو نص سابق يذوب في نص حاضر ويتفاعل معه فقد ذكر صبري حافظ أنه قبل اطلاعه على كتاب فن الشعر لأرسطو كانت له معرفة سابقة لكتب نقدية قديمة وحديثة تناولت فن الشعر دراسة وتحليل وعند قراءته لكتاب أرسطو لم يجد فيه شيء جديد يلفت انتباهه لأن معظم أفكار الكتاب سبق أن تعرف عليها وقد اندهش حين عرف أن كتاب أرسطو كان بمثابة النص الغائب بالنسبة للكثير من الأعمال التي اطلع عليها وقرأها في الكتب النقدية والنص الذي ذاب في معظم ما قرأ من أعمال نقدية وأصبح مستحيل فصله عنها ، لأن أحكامه صارت نوع من البديهيات.²

2- السياق :

إن القراءة الصحيحة تتطلب معرفة بالسياق وهو شرط أساسي ولا تكون هذه القراءة كذلك إلا إذا كانت منطلقة منه لأن النص عبارة عن توليد سياقي ينشأ من عملية الاقتباس المستمدة من المستودع اللغوي ، وهذا السياق قد يكون عالم أساطير أو حضارة أو تاريخ ... وهو ما نسميه بالمرجعية التي تفرض وجودها داخل النص.³

فكل نص متداخل بحاجة إلى قارئ يملك سياق واسع ينطلق منه في دراسته التناصية للنصوص وبهذا تكون الذات القارئة قادرة على إنتاج الدلالة المتوخاة من طرف الذات

¹ - المرجع نفسه، ص 159.

² - صبري حافظ: التناص وإشارات العمل الأدبي، عيون المقالات، عدد 02، دار البيضاء، 1986، ص 79.

³ - جمال مبارك: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، ص 150.

المبدعة والقابعة خلف التناص ويقول بارت - الكاتب يكتب منطلقاً من لغته التي ورثها عن أسلافه ومن أسلوبه وهو شبكة من الاستحواذ اللفظي والكتابة وظيفية يمنحها الكاتب للغته وهذا السياق هو ما يقصد به جيرار جينيت بجامع النص حين قال فموضوع الشعرية... ليس النص وإنما جامع النص.¹

3- المتلقي:

هو عنصر أساسي في عملية التناص لأنه يكشف لنا مظهر من مظاهر التناص والمقصود هنا ليس المتلقي بل المقصود هو الجانب الذي له علاقة بموضوع التناص وذلك بالتعويل على ذاكرته وعلى ما تتضمنه الرسالة من شواهد نصية مدمجة في النص الحاضر على شكل "تضمين"، حيث يقطع الشاعر بيتاً أو شطراً من بيت يوظفه داخل خطابه، أو على شكل "تلميح" أو "إشارة" أو إحالة على نصوص أخرى سابقة، ومن بين اللوائح التي يمكن للقارئ وضعها أثناء دراسته لنص ما، كما يورد تزفيتان تودوروف: "هو حضور أو غياب الإحالة على نص سابق".

والمتلقي المقصود هو الذي يملك ذائقة جمالية ومرجعية ثقافية واسعة تؤهله للدخول في عالم التناص فتصبح قراءته للنصوص إعادة كتابة عن طريق الفهم التأويلي لها فلم يعد القارئ ذات سلبية ثابتة "مرسل إليه" بل أضحى "فاعلاً" دينامياً يؤثر بالنص ويصنع دلالاته وبهذا صارت القراءة تفاعل مادي محسوس بين نص القارئ ونص الكاتب.²

4- شهادة المبدع:

من مظاهر التناص شهادة المبدع أو الشاعر، كما يمكن للتناص أن يتمظهر بناء على شهادة الشاعر حيث يصرح بمرجعياته الفكرية أو الإنشائية فيعلن عن النصوص

¹ - جيرار جينيت: مدخل لجامع النص، ترجمة: عبد الرحمان أيوب، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1989، ص94.

² - جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، ص 152.

والثقافات والتيارات التي أخذ منها المبدع، والذي له رؤى فكرية للحياة ومع هذا يبقى النص المقروء يجمع بين عدة نصوص لا نهائية يستمدّها من هذه الثقافة المنتمي لها .

رابعاً: أشكال التناص:

إن الشاعر عند كتابته نصه فإنه يعتمد على مصادر أساسية من أفكاره الذاتية أو أفكار يستلهمها من ثقافات وأزمنة مختلفة متفقة مع أفكاره فهو يعمد إلى التناص ومن أشكاله تناص داخلي وخارجي و تناص ضروري اختياري .

1-التناص الداخلي:

يكشف العلاقة بين نصوص الشاعر والمخزون الثقافي الذي ينتمي إليه ويمثل هويته ويوضح ارتباطه بالقرآن الكريم والحديث الشريف والثقافة الشعبية والتاريخ ومجتمعه وكذلك نصوص لشعراء زمنه فهو يكشف لنا ثقافة الشاعر الأصلية ودور نصوصه في تنوير الواقع الاجتماعي والثقافي ويظهر تعدد الخطاب الأدبي للشعراء .

2-التناص الخارجي :

هو تداخل لنصوص ولا يرتبط بدراسة علاقة نص بنصوص عصر أو جنس معينين بل تداخل حر يتداخل فيه النص بين النصوص بحرية تامة ومطلقة وعند إدراكنا للإستراتيجية التي يعتمد عليها الشاعر في نصه يمكننا التعرف على أنواع التناص عنده وكيفية توظيفه مع نصوص أخرى سلباً أو إيجاباً.

3-التناص الضروري الاختياري:

-المحاكاة الساخرة النقضية:

نص محدد يكتب في زمن ما لمناقضة نص آخر ومعاكسته بحيث يكون المعنى الكلي الأول نقيضاً للمعنى الكلي الشامل وتعني المخالفة .

-المحاكاة المقتدية "المعارضة":

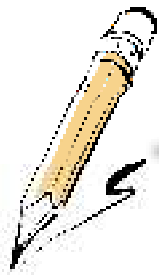
وتعني كتابة نص معين ليعارض نص آخر، والمعارضة تعني المماثلة والافتداء
والكتابة على نفس المنوال.¹

-نظرية الحوار:

هو انسجام الكلام وترابطه وفيه يتحاور المبدع والمتلقي، إذ أن المبدع لا يطرق لكل
عناصر نصه بل يترك القارئ يُتمُّها باطلاعه على المصادر التي استلهم منها المبدع.

¹ - تومي نورة: التناص الديني في متن العارفين لعقاب بلخير، ص 37.

الفصل الثاني



التناص الديني والأدبي في
كتابات البشير الإبراهيمي



تمهيد

أولاً: التناص مع القرآن الكريم: لفظاً أو معنى

-التناص اللفظي مع القرآن الكريم:

ثانياً- التناص مع الحديث النبوي الشريف لفظاً

أو معنى

ثالثاً: التناص مع التراث العربي

1- التناص مع الأمثال والحكم العربية

2- التناص مع الشعر العربي القديم

3- التناص مع النثر العربي القديم

تمهيد:

إن الدارس لأدب البشير الإبراهيمي يرى بوضوح تام حرص الشيخ الشديد على توظيف التراث الديني، فالنصوص القرآنية مختزلة والمعاني المستوحاة من القرآن والحديث النبوي كثيرة والإيحاءات والأفكار متعددة، ومظاهر التناص والتضمين منهج متبع عند الإبراهيمي. ويعود في ذلك إلى ثقافته الإسلامية الواسعة.

وتوجهه الديني مما سهل عليه الاستلham من القرآن والتراث الديني من حديث نبوي شريف. وكذلك يظهر شغفه بالشعر العرب القديم وتأثره بفضائل الشعر العربي القديم من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي والأموي. ويظهر أن هذا التوجه برز عند معظم الأدباء العرب في استخدام التصوير الفني بوصفه لوحة يبرز فيها الأديب أفكاره وأحاسيسه ومشاعره ولقد كان التصوير الفني هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة في المعنى الذهني والحالة النفسية وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة برسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد وإذا النموذج الإنساني شاخص حي وإذا الطبيعة البشرية مجسدة مرئية.

لهذا نجد الإبراهيمي في مقدمة الأدباء والمفكرين وقائد لهذا التوجه دون منازع فلا يكاد يخلو موضوع من مقالاته ومن تناص ديني أو تناص مع التراث العربي، وقد نجد عدد من المواقع المتناصّة مع القرآن منتشرة في كتاباته تضي على نصوصه ثراء أو تمنحه قدرة على التواصل مع القيم الكبرى في تراثنا الديني والفكري والأدبي، كما أن التناص يساهم في تقوية النص، وتصوير أفكاره مما يزيد قيمة وفاعلية وجمال وسمو فالتناص عند الإبراهيمي ليس للابتذال، والمتمعن لمواقع التناص في نصوص الإبراهيمي نجده متنوعا وله أشكال متعددة، فتارة يكون لفظيا وتارة يكون معنويا وأخرى يكون إيحائيا.

أولاً: التناسق مع القرآن الكريم: لفظاً أو معنى

يكثُر الإبراهيمي من تضمين نثره نصوصاً قرآنية، ففي مقالته: "محنة مصر محنتنا" يقول: "ويفرض عليها أن تعيش غريبة في وطنها وان تعاون على طمس حضارتها و مسخ عقليتها والانسلاخ من شرفيتها. والنسيان لماضيها وان تنتبذ من أهلها مكانا غربيا"¹ وهذا ما ذكر في القرآن الكريم وبتجلى في الآية الكريمة: "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا"² وسبب هذا التضمين هو تشابه الموقف، بين مصر والسيدة مريم من خلال الإحساس بالضميم والوحدة مع حدة الوضع الذي وجدنا فيه فنجد أن مصر ابتليت بالاحتلال الانجليزي وتكالب الاستعمار عليها، كما أن السيدة مريم ابتليت باتهام أهلها لها في شرفها وعفتها.

لكن الاختلاف يوجد في اتجاه المكان فمصر اختارت المكان الغربي وهو دلالة على الاستعمار وآثاره السلبية أما مريم فقد اختارت مكانا شرقيا بأمر إلهي.

وفي موقف آخر إقتبس الشيخ الإبراهيمي من القرآن الكريم في مقاله حول "سجع الكهان" لا أقسم بذات الحفيف والجناح الخفيف، المشاركة في جوها للكفيف وبالسر المودع في التجاوبف والتلافييف، وبالمغيرات صباحا عليها التجايف"³. فعبارة لا أقسم لم نعرف لها وجودا إلا في القرآن الكريم وكذلك بالنسبة لعبارة المغيرات صباحا، التي إقتبسها وأخذها من قوله تعالى في سورة العاديات "والعاديات صباحا فالموريات قدحا، فالمغيرات صباحا"⁴.

1 - عيون البصائر: العدد 174، ج2، الشرطة الوطنية للنشر، ص556.

2 - سورة مريم، الآية:14.

3 - المرجع نفسه، ص:597.

4 - سور العاديات، الآية:03.

ومن سورة النجم ومن آيتها الثانية "ما ضل صاحبكم وما غوى"¹ استلهم الإبراهيمي من القرآن حيث ذكر في نصه المنشور في البصائر بعنوان "أثر الأزهر في النهضة المصرية" حيث قال: "ولا تعجب إذا كانت النهضة شملت الأزهر نفسه، ويوم يغربل التاريخ هذه النهضة، فيأخذ منها ويدع فإننا لا نجد فيها إلا الأزهر وآثاره. وروح مصر وطبيعتها وفضيلة الشرق وتقاليده، وهداية الإسلام وآدابه. ومثله العليا المتجلية في حقائقه التي سار العالم على نورها أحقابا فما ضل وما غوى، وستنوب الأجزاء الغربية الصالحة في هذا الكل الطبيعي فتصبح جزءا من ماهيته"². فالقران يتحدث عن من الوحي القرآني المنزل على سيدنا محمد-ص- واتهام الكفار له بالضلال والغواية حيث يقسم الله عز وجل بالنجم للتأكيد على أن الرسول جاء بالحق ودينه الحق، ولم يغويه الشيطان أو يضلّه.

بل هو وحي رباني منزل من لدن شديد القوى وهو في الأفق الأعلى. ومن هذا المعنى يشير الإمام الإبراهيمي إلى دور الأزهر في نهضة مصر وقوة تأثيره على الدخيل فتجعله أصيلا. وان ما يقال عن العصر فهو مستوحى من أمم أخرى ليس بيننا وبينها صلة وان نهضة مص هي الباقية والمستمرة لأنها مستمدة من طبيعة أهلها، فضائل الشرق وتقاليده وآداب الإسلام. وهذه الحقائق سار عليها العالم سنين دون أن يضل أو يغوى، أي أن الأصيل والحقيقي سواء وحي إلهي أم تقاليد وعلوم إسلامية هو ما يدوم مهما حاول المرجفون تزييفه واتهامه بالباطل.

وفي نصه المعنون "يا مصر " تبدوا ظلال سورة الفجر واضحة إذ جاء فيه: "تأسى لك يا مصر، أن أنزلتك الأقدار بهذه المنزلة التي جلبت لك البلاء وجرت عليك الشقاء وان

¹ - سورة النجم، الآية: 02.

² - المرجع السابق نفسه، ص: 570.

أجرى فيك هذا الوادي العذب الذي كان فتنة الخيال البشري...فتقربوا إليه بالندور والقرايين، وكان طغوى فرعون ذي الأوتاد، فحرك فيه نزعة الألوهية".¹

وهذا التأثير ناجم من سورة الفجر: "وفرعون ذي الأوتاد"² وهذه مقاربة فمصر بجمالها الرياني الأخاذ وخيراتها التي لا تتضب ومياها العذبة جلبت عليها الطغاة عبر العصور فمن فرعون ذي الأوتاد. الذي حركت فيه مصر نزعة الألوهية، ونفخت فيه الكير حتى توهم أن ملكه هو نهاية الكون، ونفس الأمر بالنسبة لباقي الطغاة والانجليز منهم الذين سلبت مصر عقولهم وأسالت لعابهم فهذا هو حظ مصر التعيس يخطب ودها المحتلين والقادة السيئين.

من ناحية أخرى نجد أن الآية الكريمة "ليلة القدر خير من ألف شهر"³ استلهم منها الشيخ في فقرته المعنونة "بمحنة مصر محنتنا" وإذ جاءت كما يلي: "قرأت أن ساعة العمل خير من ألف شهر في الكلام"⁴ وهنا تناس المقصود منه تقدير الشيخ للعمل لدرجة ربما تشبيهه بليلة القدر بما فيهما من فضل كبير، فليلة القدر ليلة مباركة فضلها الله عز وجل على باقي شهور السنة، ومنحها مكانة مرموقة لما تتميز به من بركات ربانية يهبها لعباده المخلصين والذين يعملون كثيرا لأجل نيل رضاه سواء في هذه الليلة أو باقي الأيام، أما ما يقصده الإبراهيمي في نصه فهو العمل الجبار الذي اختارته مصر الشقيقة لتنهض من كبوتها فبعد أن فتحت عينيها وجدت نفسها فريسة لإنجليز يستغلها أبشع استغلال فصمت على العمل بدل الكلام، وأن لا تلتفت لوعود المحتل الذي نجح في استدراج الشعوب المستضعفة المغلوبة على أمرها وإيهامها بأن نهاية الحرب هي بداية تحريرهم.

1 - المرجع السابق نفسه، الجزائر، ص: 560.

2 - سورة الفجر، الآية: 10.

3 - سورة القدر، الآية: 03.

4 - الإبراهيمي: عيون البصائر، ج2، ص: 556.

ونلاحظ ظاهرة الحذف في المقالة المعنونة " يا مصر " وفي الفقرة الأخيرة منها إذ حذف الإبراهيمي كلمة الصبح وعوضها بكلمة الفجر وهذا في صورة هود إذ يقول في مقاله "يا مصر نحن وأنت سواء في طلب الحق ومطاردة غاصبه، ونحن وأنت مستبقون إلى غاية واحدة في ظلام دامس، ولكنك أصبحت، فيا بشراك ويا بشرانا بك. ولم نزل نحن في قطع من الليل، ونرقب الفجر أن ينبلج نوره، وما الفجر منا ببعيد"، وما ورد في الآية الكريمة: "قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبيها ما أصابهم عن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب"¹. وهنا يخاطب مصر، حيث يقول أنها مع الجزائر تعيش نفس الأوضاع في مكابدة الاستعمار والسعي لاسترداد الحقوق المسلوقة لكن يبدو أن مصر كانت اقرب إلى الحرية من الجزائر، وهذا ما يتلج الصدور ويجعله يستبشر ويشعر بالسرور، رغم أن الجزائر لا زالت في قطع من الليل، لكن الأمل موجود في حذوها حذو أختها مصر، فالجزائر ما زالت ترقب فجر الحرية أن ينبلج نوره وما هو ببعيد، وهذا الأمر هو ما أخبر به الرسل سيدنا لوط عليه السلام. في الآية الكريمة إذا أنباه بقرب حلول العذاب وان موعدهم الصبح القريب، وهو إشارة على الفرج المنتظر وللخلاص من رجس الظالمين والقوم المفسدين. أما في مصر والجزائر فالفجر هو موعد نيل الحرية، وبزوغ شمس الأوطان.

-ويواصل الشيخ الإبراهيمي توظيف عدد من النصوص القرآنية في كتاباته مثل ما ظهر في مقاله "معهد عبد الحميد بن باديس: ماله وما عليه" إذ يقول "وجزى الله إخوان الصدق أصدق الجزاء فما أن رأوا تصميمي وعزيمتي على شراء المكان حتى انشرفت صدورهم للذي انشرح له صدري، واستسهلنا الصعوبات فسهلت"² وهذا ما جاء في الآية الكريمة: "ألم نشرح لك

¹ -سورة هود، الآية:81.

² - آثار الإبراهيمي: الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ج3، 1981، ط1، ص:86.

صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا"¹. وفي هذا المقام يذكر الإبراهيمي بتعاون المصلحين للإنشاء المعهد وبذلهم للجهد والمال من أجل إرساء دار للعلم، وهذا يعتبر مشروع كبير وهدف سامي لمحو الجهل المستشري في الأمة، كما قدم الإمام الشكر للإخوان الصادقين الذين انشروا صدورهم لمثل هذا العمل وسعيهم الدؤوب لإنشاءه فسهلت الصعوبات وهانت العقبات، وغاية الإبراهيمي هي التأكيد والتنبيه إلى أن الإخلاص في العمل مفيد للأمة، وبذل النفس في سبيله هو سبب انشراح صدور أصحاب النيات الصادقة.

- كما ورد في مقالة "محنة مصر محنتنا": وسيقت تلك الشعوب الموعودة على نعماتها إلى جهنم بأوزار غيرها..."² وهنا تناص مع الآية الكريمة: "وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراحتى إذا جاؤها وما فتحت أبوابها"³ فالإقتباس واضح بين النصين، ويقع التشابه بين الموقفين في النصين، فالشعوب العربية سيقت إلى جهنم لكن بأوزار وذنوب غيرها من الذين شنوا الحرب وجعلوهم حطاما لها. ما سيق الكفار إلى جهنم لكن بذنوبهم وخطاياهم التي اقترفوها.

في جانب آخر وفي المقال المعنون: "حقوق الجيل الناشئ علينا" يقول الإبراهيمي "فتح جيلنا هذا عينه، في ظلمات متضاربة، بعضها فوق بعض تتخللها بروق مغشية، ورعود صاخة، ثم رجع بصره فإذا ذئاب تتخطف، وصوراه تتلقف، ثم رجع البصر كرتين فإذا أمامه مسافات مما قطع السائرون"⁴. فنجد تناص مع النص القرآني: "ثم ارجع البصر كرتين

1 - سورة الانشراح، الآية: 1-4.

2 - الإبراهيمي: عيون البصائر، ج2، ص:557.

3 - سورة الرمز، الآية : 70.

4 - عيون البصائر ، ص:302.

ينقلب إليك البصر مرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير"¹، وهنا التناس مركب في هذه الفقرة بين سورتين الملك والنور-فحين أدينا إلى تضرب الظلمات بعضها فوق بعض، وهذا مستوحى من سورة النور ويقصد به أن النشء في ظلام دامس ناتج عن الوضع القائم بسبب الاستعمار أدى إلى تجهيله وفقده للبصر والبصيرة بسبب ظلمات الجهل والاستبداد. وبدون النور لا يستطيع هذا النشء أن يهتدي إلى طريق الحق ولا يتلمس مساره السليم نظراً للانعدام الرؤية واقتاده للعلم الذي يرشده إلى الهداية، وانتشار الجهل المؤدي إلى الضلال، ورغم جهود جمعية العلماء والمصلحين من الجزائريين المخلصين وفي قوله "فأرجع البصر مرتين". فهذا للتعبير عن أن المسار الذي يقطعه الشباب محفوف بالمخاطر ومليء بالأعداء من الذناب التي تتخطف، وصوالجة تتلقف وحين ارجع بصره كرة ثانية فإذا به، يجد طريقه لازال طويل كثير العناء مليء بالأهوال والصعوبات.

وفي موضوع "معهد عبد الحميد بن باديس ماله وما عليه" يتجلى التضمين واضحاً للعيان مع الآية الكريمة: ((إذا مسه الخير منوعاً وإذا مسه الشر جزوعاً))² فجاء على الشكل الأتي ((فإذا مسته الحاجة يتضرع، وإذا مسته الكلمة يتجرع من الغم ما يتجرع))³ وهذه المقاربة واضحة للحديث الذي جرى بين الكاتب ونفسه التي تأمره بالكتابة عن الذات. فقلما نجد كتاب يكتبون عن غيرهم بإخلاص وحب، وإنما تدفعهم الأنانية والضعينة إلى تشويههم. لكن في هذه الوقفة النفس اللوامة تدفع صاحبها إلى تجاهل الغير أو إظهار ما يسوءه بدل فضائله وخصاله. لذا فقد إقتبس إذا مسته الحاجة يتضرع وإذا مسته الكلمة يتجرع من القرآن الكريم، إذا مسه الخير منوعاً وإذا مسه الشر جزوعاً، فالإنسان لا يصبر ولا يرضى بما قسمه الله له. سواء كان خير أم ابتلاء يمحي به سيئاته.

¹ - سورة الملك، الآية: 03.

² - سورة المعارج، الآية: 20-21.

³ - آثار الإبراهيمي، ج3، ص: 85.

نلاحظ ظاهرة الاقتباس في المقالة المعنونة حكمة الصوم في الإسلام والتي جاء فيها: "وان يجمع بين سنة الدين وبين سنة الكون فجعل الليل لباسا والنهار معاشا"¹ مع ما ورد في القرآن الكريم في سورة النبأ "وجعلنا الليل لباسا والنهار معاشا"² ومدلول هذا القول هو دعوة للمسلم على عدم التفريط في الدين أو الدنيا. واستغلال الوقت فيما ينفع، خاصة وان شهر رمضان جعل للعبادة والطاعة وللبعد قدر المستطاع عن الإفراط في الشهوات والاقتصاد في الوقت والمال، لأن حكمة الصوم هي عدم الإسراف أو التبذير وان يكون موعداً للتحكم في النفس وتغيير الطباع الفاسدة.

نجد في الآية الكريمة: "قال يا نوح إنه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح"³ اقتبس الشيخ الإبراهيمي نصه المنشور في جريدة البصائر بعنوان "سجع الكهان" حيث يقول: "أيها الخاذل للغزى ما أنت لهاشم...أغضبت شراة الحي، وأزعجت الميت منهم والحي من لؤي إلى أبي نمي، فويحك، أما تخاف أن تهلك، يوم يقال: يا محمد إنه ليس من أهلك"⁴ وكان هذا سجع لبعض الكهان في عدد من الفصول، كل كاهن يتكلم عن الكهانة برؤيته الخاصة، ففي الفقرة المخصصة لكاهن الحي يعقد مقارنة بين بدر بن عمار الشجاع صائد الأسود وبين المتنبي الذي يعيش على فضلات الحكام فالأول أشتهر بالإقدام واعتماده على نفسه، أما الثاني فقد اشتهر بالعيش على فضلات الساسة والتزوير والولائم. وفي نهاية النص يوجه الكلام لخاذل الغزاة الذين يقتحمون ساحات الوغى، ويرفض نسبه لبنو هاشم، وينبئه ليوم العرض الذي يرفض فيه سيدنا محمد أن يكون من أهله وهذا ما خاطب به الله تعالى

1 - عيون البصائر، ص: 575.

2 - سورة النبأ، الآية: 10-11.

3 - سورة هود، الآية: 46.

4 - عيون البصائر، ص: 598.

سيدنا نوح، حيث ناداه وقال يا رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق، فنجيه من الهلاك للدلالة على ما يختاره الإنسان لنفسه وأي طريق يسلك فهو ما يحدد مصيره، ونهايته.

من ناحية أخرى نجد في موضوع "تداء وتحذير إلى الشعب الجزائري المسلم العربي"

ما يلي:

"ونعلم مع ذلك أن الاستعمار بطبيعته كائد ماهر، وإن له في الكيد طرائق تعجز الشياطين أن تأتي بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"¹ وهذا ما جاء في الآية الكريمة: "لو كان بعضهم لبعض ظهيرا"² والغاية من هذا التناص هو إظهار أن مكر المستعمر والشيطان واحد، بل إنه يتفوق في شدة المكر والحقد على الشيطان، الذي عجز بالإتيان بمثل أفاعيه، أي تفوق التلميذ على أستاذه والغرض من كل هذا الخطاب هو التنبيه والتحذير للأمة بغية عدم الوقوع في فخ الاحتلال.

ويظهر التأثير بالأسلوب القرآني بشكل جلي ومميز في المقالة التي وردت تحت عنوان "سنة من عمر البصائر" والتي جاءت كما يلي: "ولو شاءت البصائر لأوقفت كل سفيه عند حده و سفته من الرد حميما وغساقا، ولئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض"³ وهنا التناص جملي بين سورتين هما النبأ والبقرة، فالأولى استقى منها الآية "حميما وغساقا"⁴.

أما سورة البقرة فاقتبس منها الآية: "والذين في قلوبهم مرض"⁵ والهدف من هذا النص هو توجيه الشكر للمخلصين الأوفياء الذين قدموا الدعم للجريدة التي اعتمدت في رسالتها على طهارة اللسان والأمانة في قول الحق. والابتعاد عن الكذب وقلب الحقائق وكشفت

1 - آثار الإبراهيمي، ص:70.

2 - سورة الإسراء، الآية:88.

3 -المرجع السابق، ص:106.

4 - النبأ، الآية:25.

5 - البقرة، الآية:10.

التزوير والغش، وبهذا وقفت في وجه المثبتين والمنافقين، ولكنها نأت بنفسها عن الوقوف للرد على السفهاء، الذين تحركهم المطامع الدنيوية والأيدي الخفية فيشغلونها بذلك الحق بالباطل، وبغير المفيد عن المفيد، وليس من مصلحة الأمة الخصام الداخلي بين أبنائها، لذا أعرضت الجمعية عنهم واحتقرتهم وردت عليهم بأعمالها المفيدة للمجتمع والعلم المنير الذي تقدمه.

1- التناص اللفظي مع القرآن الكريم:

لقد تضمن أدب البشير الإبراهيمي حشدا كبيرا من المفردات ذات البعد الديني ومصطلحات استخدمها القرآن أو الحديث النبوي، وهذا يدل على أن الإمام له ثقافة دينية واسعة، وقد قام الإبراهيمي بامتصاص دلالات المفردات المتناصية. وذلك للإعطاء خطابة قيمة خاصة ذات تأثير عميق في نفس المتلقي بعد أن يمنحها رؤيته الخاصة، وهذا التوجه مقصود وواعي إذا علمنا انه لا تكاد تخلو مقالة من مقالاته من هذا التناص.

ورد في القرآن الكريم "والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى"¹ ونجد في نص الإبراهيمي "يا مصر" اقتباس لفظي لكلمة نجم وجاءت على النحو التالي في شكل فقرتين "سطع في أفق من آفاقه نجم يهدي السارين إلى سوائه" و أيضا "نجم ساطع في أفقك"² والمقصود من هذا الحديث هو الشيخ الجليل محمد عبده رحمه الله... فالإمام الإبراهيمي يراه بمثابة نجم ساطع في سماء مصر ينير لها دربها، ويجدد لها دينها، وهذا التناص قريب من المعنى المذكور في القرآن والنجم إذا هوى، لأن النجوم ترمز للهداية وتضيء الطريق للحائرين وترشد الضالين في الظلمات وتساعدهم على إيجاد الطريق

1 - سورة النجم، الآية: 01.

2 - عيون البصائر، ص: 563.

المستقيم، فمحمد عبده دائما ينظر إليه دائما كنجم في الإصلاح الديني فكسرت سمعته الآفاق.

نلاحظ ظاهرة استعمال اللفظ القرآني في كتابات الإبراهيمي منتشرة بكثرة وهذا على النحو الذي ظهر في مقال "سجع الكهان" في الفقرة الخاصة بالحلقة السادسة: "أنسيتم ما فعله صلاح الدين؟ بالمعتدين؟ إن نسيتم أمسكم فهم له ذاكرون، وإن كفرتم بيومكم فهم له شاكرون، أين كنتم يوم أعطوا العهود لليهود؟¹ فالمفردات "شاكرون، كفرتم، العهود، اليهود) كلها تعبيرات ذات دلالات دينية استخدمها الكاتب بعد أن حورها وفق رؤيته الخاصة، فهو يذكر المسلمين بما فعله الغرب في فلسطين، إذ استغلوا كبوتهم ومنحوا فلسطين لليهود وهم غافلون، ويحرص أيضا على تنبيههم إلى أن الغرب المسيحي لم ينسى الماضي مثل ما فعل المسلمون فهذا المقال فيه توبيخ ولوم على التقصير الذي أدى إلى ضياع فلسطين.

وقد جاء في سجع الكهان الرابع مفردات قرآنية مثل (الرعد، الوعد، أخلف، الإبل، سبأ، النبأ، صدق، أعقابكم، أصاخوا، السيل، الويل، قدورهم، أسلافكم، الراسيات، خلدت، ثمود، البرهان، ضلوا، قوم، العهود، بالوصيد، يهطعون...)،² وهذا الاستعمال المفرط للمصطلحات القرآنية في نص واحد لدليل على الأهمية البالغة التي يوليها الإبراهيمي لنصوص القرآن ومدى إعجابه بها، و بسحر بيانها وهذا في مخاطبته لبلاد اليمن ومدنها، التي كانت تملأ الدنيا بحضارتها الضاربة في أعماق التاريخ من حضر موت إلى ظفار فصنعاء. ثم ينطلق للحديث عن سر اندحار القبائل اليمنية و تراجعها إذ كانت لها سمعة كبيرة في الشعر والصيد، والآن اندثر كل هذا وزال وضع الخلف ما بناه السلف.

¹ - المرجع السابق، ص:610.

² - المرجع نفسه، ص:605-606.

والنص مملوء بكلمات تعبر عن الحزن والأسى والذي يشعر به العلامة الإبراهيمي لما آل إليه الوضع في اليمن من تدهور للحال وسوء المآل، بعد إن كانت آية في العمران وجنة البلدان، فوقع لهم ما وقع لقوم هود وثمود الذين غضب الله عليهم فنالوا جزاء العقاب. ويستمر الإمام الإبراهيمي في توظيف ألفاظ من القرآن مثل "لا أقسم بهذا البلد"¹، المستمدة من سورة البلد، وجاء ذكرها في سجع الكهان رقم 1، إذ قال "لا أقسم بذات الحفيف"² وكذلك في مقاله "سنة البصائر الجديدة" ظهر التناص اللفظي مع كلمة عنكبوت حيث حذف لفظ بيت وعوضها بلفظ خيط- والآية الكريمة "إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت"³ وهنا فيه إشارة لضعف مبادئ من يتكلمون باسم فرنسا، فهم مرتبطون بخيط رفيع ضعيف النسيج، بينما من يتزين بمبادئ الأمة من عروبة وإسلام، مع الصدق في الهدف والإخلاص في العمل، فهو سبب بقاءها ودوام آثارها مهما صادفتها من عقبات. أما القسم لا أقسم فهذا تعبير يتميز به النص القرآني عن غيره من النصوص لتأكيد المعنى المراد إيصاله وإثبات قوة الطرح القرآني.

وفي سياق آخر وفي معرض حديثه عن واقع الدين الإسلامي مع الحكومة الفرنسية الاستعمارية ومدى تناقضها في سن القوانين المخالفة لشعائر المسلمين، والتي تحيلها للحكومة المنبثقة التي يمرر نوابها الموالين للمستعمر كل قراراتها المستفزة لمشاعر المسلمين. وهذه المهازل التي تحدث لا ترضى بها الأمة المسلمة ولن تقبل إلا بأقل من الفصل الحقيقي للدين عن الحكومة: "وللحكومة في هذه القضية قوانين وقرارات متشابكة متناقضة كالتالي في تلك، وفيها الظاهر وفيها الباطن، و فيها ذو الوجهين ولا نتشاغل

¹ -سورة البلد، الآية: 01.

² - عيون البصائر، ج3، ص: 597.

³ -سورة العنكبوت: الآية: 41.

بمناقشتها لأن الدستور الجزائري الأبتري¹، فالمفردات (الظاهر، الباطن، الأبتري) كلها تعبيرات ذات دلالات دينية استخدمها الكاتب بعد أن حورها بما يحتاجه في خطابه الإصلاحية لتسليط الضوء على واقع الدين ومواجهته للعتت الاستبدادي الذي تمارسه الحكومة الفرنسية الغاشمة.

ولم يقتصر الإمام الإبراهيمي في تضمينه على الاقتباس الجملي، بل تشبع في أدبه معاني قرآنية تثبت شغفه بالقصص القرآني وتعبيراته التي تتجلى روعة وإبداعا فهاهو يضمن مقالته "معهد بن باديس ماله وما عليه" آمال وطموحات أبناء الجمعية المتوخاة للوصول بالمعهد نحوز طريق النجاح والتوفيق. كما تطرق إلى الدور الذي سيلعبه أبناء الجزائر المغتربين عند عودتهم إلى أرض الوطن والمساهمة في إرساء قواعد العلم، وبتث النشاط والنظام فيه، فيوظف العلامة الإبراهيمي هذا المعنى بوضوح إذ يقول: "وسنستدعي من يمكن استدعاه من أبناء الجزائر المغتربين في طلب العم. الناهلين من ينابيعه الصافية العذبة المحصلين على أعلى درجاته علما وشهادة لينفخوا في المعهد من أرواحهم..."²، فيعقد الكاتب مقارنة عجيبة بين الواقعتين وهو نوع من التناسق في المعنى، بين النص القرآني الذي ورد في الآية "ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والإبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون"³ وفيه استخلاص للمعنى الوارد في الوحي الإلهي، فالمعهد يحتاج إلى جهود عظيمة ينفخ فيه أبناء الجزائر المغتربين من أرواحهم، ليدب النشاط فيه ويتم نجاح سيره ويأتي أكله، وبهذا يعزز التعليم في الجزائر ويخرجه من حالة التدهور التي يتخبط فيها منذ أن ابتليت بلاد الجزائر بويلات الاستعمار الذي يعمل بكل قوته على محو بقع الضوء التي

¹ - عيون البصائر، ج2، ص:91.

² - آثار الإبراهيمي، ج3، ص:93.

³ - سورة سجدة، الآية:09.

تحاول أن تثير درب التعليم، وتضيء الطريق للأبناء الجزائر الغارقين في ظلام الجهل والتخلف.

ثانياً- التناص مع الحديث النبوي الشريف لفظاً أو معنى:

الحديث النبوي هو ثاني منبع استقى منه الشيخ الإبراهيمي خطابه، وهو ما يدل على اهتمامه الكبير بالسيرة المحمدية العطرة التي استعان بها في توضيح أفكاره والمواضيع التي عالجها، وتكثر في نصوص الإبراهيمي النثرية الإحالات إلى الخطاب الديني والتفاعل معه من خلال توظيف بعض الأقوال المأثورة للرسول، صلى الله عليه وسلم، في ثنايا نصوصه وذلك لارتباط أديبنا العميق بروح الدين الإسلامي ففي معرض حديثه عن "أثر الصوم في النفس" يقول: "في كل فريضة من فرائض الإسلام امتحان لإيمان المسلم، ولعقله وإرادته غير أن الصوم أعسرهما امتحاناً. لأنه مقاومة عنيفة لسلطان الشهوات الجسمية ومقاوم الشهوات في نفسه أوفي غيره قلما ينتصر"¹.

واستمد هذه العبارات من قوله-صلى الله عليه وسلم: "الصيام جنة فلا يرقب ولا يجمل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: "إني صائم مرتين، والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من اجلي، الصيام لي وأنا اجزي به والحسنة بعشر أمثالها"². من مزايا الإسلام انه جعل من شهر رمضان شهر للعبادة والصحة والثواب وصلة الرحم، وكل هذه المزايا تعود بفوائد جمة على الصائم ولكن في نفس الوقت فالصوم امتحان عسير ففيه تختبر النفس البشرية عن مدى مقدرتها على مقاومة المغريات والفتن المتاحة ببسر، وقد نجد عدد قليل من الصائمين من ينجح في امتحان الصوم.

¹ - عيون البصائر، ص: 539-538.

² - صحيح البخاري: ألفية الإمام الشيخ الحافظ البخاري، الدار الذهبية للطبع والتوزيع، القاهرة، ص: 389.

أما في قوله في مقاله: "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر": أتمثله حلف عمل لا حليف بطالة، وجلس معمل ولا جليس مقهى، وبطل أعمال لا ماضغ أقوال".¹

فهو مقتبس من قول الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم: "لأن يحتطب أحدكم حزمة حطب على ظهره خير له من يسأل أحد فيعطيه أو يمنعه"². وفي مثل هذا المقال يستغل الأستاذ الإبراهيمي معنى الحديث ليشرح مدى استبشاره بالشباب الجزائري والأمل الذي يعقده عليه، فيظهر لنا حسن ظنه بأبناء الجزائر في السير نحو المستقبل للنهوض بوطنهم ويشاركوا في بناء متسلحين بالعلم والذكاء المتقدم مع العمل المتواصل.

وهو ما ينسجم مع حديث الرسول، الذي يحث الشباب على العمل وعدم الاتكال على الغير، لأن العمل مهما كانت قيمته أو أجرته زهيدة، فهو عند الله أفضل من الجلوس على ناصية الطريق يسأل هذا ويترجى ذاك، فمن الأشرف له أن يحمل فأسا أو صنارة ويتوكل على الله فهو الرزاق الكريم.

وفي صدد آخر نجد أن الشيخ الإبراهيمي يأتي بالتضمين من الحديث الشريف فحين يقول: "عن الأمم الضعيفة قد لدغت من حجر واحد مرتين، فاحذروا الثالثة"³ وهذا ما يتناسق مع الحديث الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يلدغ المؤمن من الجحر مرتين"⁴. وغاية هذا التضمين هو تحذير المسلمين من كيد الانجليز، الذين هم سبب كل بلاء حل ببلاد الإسلام لأنه هو من منح فلسطين لليهود، وجلب أمريكا للمنطقة وسلطها علينا، إذن فالحذر واجب والاحتياط مطلوب حتى لا نقع في الفخ مرة ثانية، ولا نصدق الأكاذيب الواهية.

1 - نفس المصدر السابق، ص: 283.

2 - صحيح البخاري، ص: 33.

3 - آثار الإبراهيمي: ج 2، ص: 348.

4 - صحيح بخاري: تأليف أبي عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ط 1، ألف للنشر والتوزيع، 2010، مصر، ص: 740.

أما في قوله: "...إن بدء الغنى من غنى النفس بالتعفف عن الكماليات، وفطمها عن الشهوات"¹ وهذا تضمنين لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس". وفي هذا التناس دعوة للمرء أن يتحلى بغنى النفس والأخلاق الحميدة والابتعاد عن شهوات النفس، وتعويدها على الرضى بما قسمه الله تعالى لها، وهذا هو الغنى الحقيقي الذي يدوم. مع العفاف والكفاف. فلا خير في امرئ اشترى متاع الحياة الزائلة بثمن بخس وزهد في آخرته الباقية.

ومن الحديث الشريف "من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم"² فقد استقى الشيخ الإبراهيمي في مقاله حول "جمعية العلماء المسلمين" ما يلي: "الحياة بالعلم والمدرسة منبع العلم ومشروع العرفان و طريق الهداية إلى الحياة الشريفة"³ والغاية من هذا الخطاب هو تقديم العرفان للعلم وأهله، فهم كالنجوم المتلألأة في الليالي الحالكة، للجزائر الغارقة في الجهل والامية، والأمم في العصر الحالي تحيا بالمدارس، أما الجهلاء فهم غارقون في الفساد والضلال مستمرئين الذل والهوان وحياة العبودية، ولمن يريد الحياة الشريفة فما عليه إلا أن يسلك طريق النور والهداية فهو منجاة للأمم من السقوط في فخ الجهل والظلام.

ويبقى الأستاذ الإبراهيمي في تأثر واضح بالحديث الشريف، فهو لا يكتفي بالإحالة إليه وإنما يستنزله في نصه النثري، ويستنسخ منه وجوها عديدة للدلالة والصورة البيانية فمن الحديث الشريف "عن سعد بن عبيدة عن ابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: بني الإسلام على خمسة على أن يوحد الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان

¹ - عيون البصائر، ص: 510.

² - صحيح البخاري: ألفية الإمام البخاري، ص: 33.

³ - عيون البصائر، ص: 283.

والحج"¹، وفي موضع آخر من مواضع هذه المقالة: "الشباب كما تمثله لي الخواطر" يضمن الأستاذ الإبراهيمي من هذا الحديث النبوي حيث يقول: "أتمثله بانيا للوطنية على خمس كما بني الدين قبلها على خمس..."²، وهدفه من هذا الخطاب هو إظهار حرصه على تكوين الشباب تكوين صحيح على مبادئ الدين، ليفيد الوطن والإنسان الجزائري الذي يحتاج إليه، فهو يمثل الأمل المعقود نحو بناء المستقبل الآتي ويحث على الابتعاد عن السباب واليأس والتخلي بالاجتهاد في العمل لتحقيق الآمال، كما أن النهوض بالأوطان يتطلب تجنب طريق الشيطان.

ومن بين ما ضمنه الأستاذ الإبراهيمي في مقاله "سجع الكهان" رقم 2 اقتباس لفظي للحديث الشريف الذي يقول "ويل للعرب من حبل قد اضطرب وشر قد حل ولا أقول قد اقترب"³، وهو نفس ما جاء في الحديث النبوي: "عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش رض الله عنهن- أنها قالت: استيقظ النبي- صلى الله عليه وسلم- من النوم محمرا وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله- ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من درم ياجوج وماجوج مثل هذه"⁴. وفي هذا تناص واضح مع قول النبي صلى الله عليه وسلم- ويل للعرب من شر قد اقترب. إلا أن الاختلاف هنا في اللفظ الأخير، فالإبراهيمي يجد أن الشر فعلا قد حل. وأن تحذيره للأمة لم يجدي نفعاً ولم يجد آذانا صاغية و واعية فالبلاء والويل قد طال الجميع من العم إلى الخال. وأصاب العرب والعجم والروم. وكل الجنس البشري نال نصيبه من البلاء وجور الحكام ومسه فساد بطانات الملوك وإهمال قيم الدين التي هي الركيزة الأساسية لانتشار العدل وإعطاء الحقوق ونشر المساواة.

¹ - صحيح مسلم: الإمام أبي حسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الأصاله للنشر، ط1، الجزائر، 2010، ص19

² - الإبراهيمي: عيون البصائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص:594.

³ - المرجع نفسه، ص499.

⁴ - صحيح البخاري: ألف ابن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ألفا للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص:844.

كما نلاحظ أن الأستاذ الإبراهيمي يبقى في تأثر واضح بالحديث الشريف فهو لا يكتفي بالاقتباس النصي بل يحور المعنى ويجعله يوافق رأيه الذي يريد توصيله وهذا ما جاء مع الحديث الشريف: "لا فضل لعربي على أعجمي. ولا فضل للأبيض على أسود إلا بالتقوى" فيعزز هذا المعنى في مقاله: "الهيئة العليا لإعانة فلسطين". "وقد قامت الأمم العربية الإسلامية بهذا الواجب، كل امة على قدر استعدادها وعلى حسب الظروف المحيطة بها لا على حسب الشعور والوجدان. فالشعور قدر مشترك بين الجميع لا يفضل فيه عربي عربيا، ولا يفوق فيه مسلم مسلما"¹

ومن خلالها هذا التناس بين النصين الديني والأدبي نستطيع أن نتبين الهدف من اقتباسه، وهو للتدليل على عمق أواصر الأخوة والمحبة بين الشعوب العربية وفهمها للواجب الديني، وإشراكها في الشعور والوجدان. مع الاتحاد في النوائب و الكوارث التي تصيب الأمة، فلا يفرق فيه بين عربي وآخر، ولا بين مسلم ومسلم. لأن المرجع واحد وهو العروبة كما أن المنبع أصيل ألا وهو منبع الإسلام.

ومن الحديث الشريف: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا فإن اشتكى له عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" وفي هذا تعزيز لمعنى التراحم ويوظفه الإبراهيمي في مقاله "كوارث الاستعمار": "أما التألم والامتعاض من قتل الأبرياء المسالمين. وأما الحزن والأسى لإخواننا الذين ماتوا مظلومين ومحال أن يتألم عضو من جسد ولا يتألم له سائر الأعضاء"² ويهدف من خلاله مشاركة الجزائريين لإخوانهم التونسيين مصابهم. فقد نزلت بهم الكوارث بسبب الاستعمار. ويحث المسلمين للإحساس بغيرهم من إخوانهم والتألم لآلامهم. والدعوة إلى التكفل بالقتلى الأبرياء والقيام بشؤون عائلاتهم وأطفالهم

¹ - آثار الإبراهيمي: ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1948، ص:75.

² - المرجع نفسه، ج3، ص:21.

الذين بقوا بلا مأوى أو معيل، فهو يستبعد أن لا يقف الجزائريين إلى جانب إخوانهم. مع التفاعل الحقيقي. فهم كالجسد الواحد في توادهم وتراحمهم إذا اشتكى منه عضو يتألم باقي الجسد، وهو بهذا يدل على أن الحياة لا زالت تسري في عروقه.

ثانياً: التناص مع التراث العربي

1- التناص مع الأمثال والحكم العربية:

لقد خلف لنا عرب الجاهلية تراثاً كبيراً من الأمثال. وهي عبارات تضرب في حوادث مشابهة للحوادث الأصلية التي جاءت فيها.¹ وقد عنى العلماء بدراساتها، وأهمهم علماء العصر العباسي من بينهم أبو عبيدة والمفضل الضبي، وأبو هلال العسكري في كتابه "جمهرة الأمثال"

وطبيعي أن تحتل الأمثال والحكم مكانة مهمة لدى الأدباء والشعراء العرب عبر العصور، نظراً للقيمة العالية التي تتميز بها وقدرتها على الإيفاء بالمعنى المراد الوصول إليه دون إطناب أو إطالة في الكلام. فهي تتصف بالإيجاز والدلالة القوية.

والإمام الإبراهيمي العلامة الفذ، ونظراً لتأثره الشديد بالتراث العربي القديم وإطلاعه الواسع عليه. فقد ظهر جلياً وواضحاً في مؤلفاته ومقالاته إذ نجده كثير الاستعانة بالأمثال والحكم. ونلاحظ فيه براعة الاقتباس و السلاسة في المزج بين كلامه والأمثال مع حسن اختيار الحكمة المناسبة للموضوع المطروق والأفكار المراد إثارتها.

فقد ورد في نصه المنشور في عيون البصائر تحت عنوان "إلى أبناء المعلمين الأحرار": "راجين أن يكون رجوع التحية منكم واجبا يؤدي على أكمل وجهه، وعملا يحقق على أحسن حالاته وغاية توصل بأسبابها من أقرب الطرق، وبأنفع الوسائل لا كلاماً يذهب مع

¹ - شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ص: 20.

الريح، ولا قشورا من الأعمال تضيع الوقت"¹ وفي هذا تناص مع المثل العربي القائل "ذهب مع الريح" أي أن الريح ذهبت بهم كل مذهب ويدل هذا المثل على التشتت والتفرق في كل اتجاه مع ضياع الجهد عبثا دون فائدة أو نتيجة.

وفي نفس المقال يوجه كلمة للمعلمين، حيث ينصحهم بالابتعاد عن التحزب وشروبه في كما جاء في قوله: "وأوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيات التي نجم بالشر ناجمها وهجم ليفتك بالخير والعلم-هاجمها وسجم على الوطن بالملح الأجاج ساجمها، إن هذه الأحزاب كالميزاب جمع الماء كدرا وفرقه هدرا، فلا الزلال جمع ولا الأرض نفع"(1). وهذا تناص مع المثل العربي لا الزلال جمع ولا الأرض نفع وفيه وصف للتحزب كما يتجلى في سجع الكهان . وان بدا التحزب واصلا جامعا فانه لا يلبث أن يكون ممزقا قاطعا وان بدا انه يحيي في الناس الغيرة عن المحارم فيجمع الحزب ما صفا وكدر من المعتقد . مثلما يجمع الميزاب من الماء ما صلح وفسد.

كما أن المثل العربي بقت دار لقمان على حالها والذي ذكره في النص المعنون "بالتعليم العربي والحكومة" وجاء فيه: "وتطور الزمان وتطورت الأمة، وتعددت المقتضيات ولكن الحكومة جامدة ودار لقمان على حالها، ورجعنا إلى تجارب ربع قرن ندرسها"² وفيه يتطرق الإبراهيمي للعراقيل التي تضعها الحكومة الاستعمارية في وجه التعليم العربي بالجزائر. ومماطلتها في منح الحقوق المكفولة للمواطنين الجزائريين، بضرورة الحصول على تراخيص تسمح ببناء المدارس وحرية المساجد والأوقاف الإسلامية والمطالبة باستقلال القضاء الإسلامي عن القضاء الفرنسي، ولكن رغم هذه المطالبات الحكومة الفرنسية بقت جامدة لا تلتفت إليهم ولا تلبى رغباتهم المشروعة، فاستعان الشيخ الإبراهيمي

¹ - الإبراهيمي: عيون البصائر، ج2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ص:288.

² - المرجع نفسه، ص:275.

بهذا المثل، ودار لقمان هاته، هي الدار التي سجن فيها المسلمون في مصر أحد قادة الحملات الصليبية الفرنسي لويس التاسع، وقد درج هذا المثل عندما تبقى الأوضاع دون تغيير، وهذه الدار تنسب لقاضي المدينة في هذا الوقت وهو القاضي إبراهيم بن لقمان.

وفي المقال المنشور في البصائر بعنوان "المهاجرون في سبيل العلم": "تطلبون الوظائف في تونس فيحول بينكم وبينها نظام الاحتكار، وتطلبونها في الجزائر فتمنعكم منها سياسة الاستعمار! رب ضارة نافعة"¹ وهذا المثل العربي درج على السنة الناس، وهو أن ليس كل ما يصيب الإنسان من خير فهو خير لنفسه. ولا كل شر يصيبه هو شر له، فقد يكون في الشر خير كثير للإنسان لا يعلمه، ورب مصيبة خرج منها الإنسان شديد الإيمان بالله، وهذا ما قصده العلامة الإبراهيمي أن لا يظن الطلبة الجزائريين الموزعين عبر مشارق الأرض ومغاربها، وخاصة بتونس نظرا للظروف الصعبة التي يواجهونها، ومفارقتهم لأهلهم وأحبتهم وديارهم، وهذا كله في سبيل العلم وتلبية لنداء الوطن الذي ينتظرهم. ورغم كل هذا العناء فقد لا يجدون بعد تخرجهم وظائف تليق بهم بحجج متعددة. كالأولوية للأبناء تونس لأنها حkra على أبنائها، وفي الجزائر فسياسة المستعمر الاقصائية لن تمنح لهم الفرصة وعليه فإن المطلوب منهم هو الصبر وعدم الجزع، لأن ضريبة العلم تتطلب الكثير من التضحيات والمعاناة، إذن فرب ضارة نافعة حقا!.

أما في المقال المعنون ب: "المعهد الباديبي" والذي أشار فيه للمجهودات التي بذلت من اجل فتحه للمعهد واستبشار التلاميذ وأولياءهم به، والعناء المضني الذي قامت به إدارة المعهد من اجل توفير الجهد والوقت والمال لتوفير السكن للطلبة الفقراء والتقليل من المعاناة التي يتكبونها في البحث عن مأوى لهم يقربهم من المعهد الذي يزاولونه به دراستهم. أما الفقراء والمتوسطون فقد أبلوا، وأما قادة الحركة فقد شادوا واعلوا، وأما أمثالكم فقد جاءوا

¹ - الإبراهيمي: عيون البصائر، ج2، ص:220.

بالوشل ، وأما المثبطون فقد باؤوا بالفشل، وأما القافلة فهي تسير، فيها المعني وليس فيها الكسير" وهنا يظهر تناص واضح مع المثل العربي الذي يقول "القافلة تسير والكلاب تنبح" أو القافلة تسير والكلاب تعوي، والكلاب هنا إشارة للحاقدين والحاسدين أعداء النجاح أي أن الكلاب لا تستطيع إيقاف القوافل ومعروف أن القوافل تتكون من الجمال وهذا ما يفعله أعداء النجاح في المجتمع الذي همهم هو مهاجمة الإصلاحيين وإطلاق الإشاعات عليهم، والذي يدل عليه هذا المثل هو أن الراكب فوق الجمل يكون عالياً فلا تستطيع الكلاب النيل منه. وهذا القول ينسب للإمام الشافعي وفي هذا المقال رد من الإبراهيمي على أعدائه من المثبتين والغرضين والذين لم يرتاحوا لافتتاح المعهد وعملوا على الاختلاط بطلبة المعهد ليفتتوهم عن العلم ويصدوهم عن سبيله ويزينوا لهم الجهل والبطالة.

كما جاء في المقال المعنون "التعليم العربي والحكومة" هذه الفقرة: "...فلما جد جد الأمة في هذه السنين وفتحت أعينها على تراث منهب، وحق مغصوب، ومدت أيديها لاسترجاع والتجديد. مدت الحكومة يدها إلى تلك القوانين تحركها وتوقظها وتغذيها بالزيادات والملصقات، ومن أشنع هذه الزيادات ما ولد في طالع النحس وهو ما قررته لجنة التحرير القومي"¹، والعبارة التي تشير إلى "ما ولد في طالع النحس" هي عبارة مشهورة لدى العرب، حيث يقال لو أن طفلاً ما ولد في لحظة شروق الشمس ومعروف عند الفلكيين منذ القدم تقسيمهم دوائر طلوع الشمس إلى 12 جزء سموها البيوت الفلكية. وكل بيت منها مسؤول عن بعض الأنشطة الإنسانية في حياة المولود، والجزء الأول لهذه الدائرة الملاصق للشروق عند خط الأفق يسمى "الطالع" وعلى ذلك يكون تعريف الطالع بأنه "المجموعة النجمية أي البرج الذي يصعد عند خط الأفق الشرقي لحظة ميلاد الإنسان" والأرض تدور حول نفسها مرة واحدة كل 24 ساعة. لذلك فإن هناك برجاً جديداً يصعد في الأفق الشرقي كل ساعتين،

¹ - عيون البصائر، ج2، ص:266.

ومعنى ذلك أن الطفل المولود لحظة شروق الشمس يكون برج طالعها هو نفسه برج شمسها وفي هذا الصدد فإن الإبراهيمي يشير للقوانين التعسفية التي كانت السلطات الاستعمارية تصدرها وتبقيها نائمة في الإدراج وحين تجد أن الأمة بدأت تستيقظ من سياستها و تفتح عينيها على تراثها المنهوب وحقها المغضوب، وتبدأ في استرجاعه فإن الحكومة الاستعمارية تستخرج هذه القوانين من الإدراج وتحركها ضد التعليم العربي، وتفرض عليه شروط تعجيزية بتخصيص ساعات لتعليم اللغة الفرنسية وهذه كلها حيل من أجل عرقلة وهنا وصف لهذه الزيادات والملاحق التي تغذي بها القوانين بما ولد في طالع النحس. أي في التوقيت الغير مناسب له .

كما نجد القول المأثور للإمام الشافعي-رحمه الله- **ماحك جلدك مثل ظفرك** والذي صار مثلاً يضرب للدلالة على الاعتماد على النفس قد ألهم الشيخ الإبراهيمي للدفاع عن اللغة العربية والتصدي للهاقدين عليها، حيث قال في نصه المنشور تحت عنوان "اختلاف ذهنين في معنى التعليم العربي": "شهد التاريخ الحديث-الأمة الجزائرية غضبي نائرة لتلك المعاملة المهينة التي كان الاستعمار يعامل بها لغتها وشهدها تبني لنفسها، وتشيد نهضتها التعليمية بيدها، وتحك جلدًا بظفرها وشهدها مع ذلك- تزعج الاستعمار وتصارعه"¹ وهو ما ذكره الشافعي في أبياته:

ماحك جلدك مثل ظفرك *** فتول أنت جميع أمرك

وإذا قصدت حاجة *** فاقصد لمعترف بقدرك

وغاية الإمام الإبراهيمي من الاقتباس من هذه الأبيات الملائمة للموضوع، هو توضيح شدة غضب الأمة من المعاملة السيئة للاستعمار للغة العربية رغم دورها الجليل في تشييد النهضة وترقية التعليم معتمدة على جهود أبنائها رغم محدوديتها. من أجل القيام

¹ - عيون البصائر، ج2، ص:312.

بشؤون الوطن وتطوير أفق وتفكير أبنائه، ومرآة لعصرهم الطافح بالمجد والعلم والبطولة والسيادة.

وفي المقال المعنون "بكلمتنا عن الأئمة" والتي يتحدث فيها عن الأئمة الحكوميين المتشوقين إلى الوظائف ويسبون منتقديهم من رواد الإصلاح فقد قال الإبراهيمي: "وحسب هذا القلم شرفاً أن يطول بالحق قصره، وإن تحشر مع سيوف الفتح كسرة، ولا نامت أعين الجبناء"¹ وفي هذا نجد القول المأثور لا نامت أعين الجبناء وهي كلمة لخالد بن الوليد- رضي الله عنه- حين قال كلمته الشهيرة: "لقد شهدت مائة زحف أوزهاءها وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، ثم هاأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء" وهذا للدلالة على عدم الخوف من قول كلمة الحق والصدح بها، في وجه بعض الأئمة الذين باعوا أنفسهم للشيطان حسب تعبير الشيخ الإبراهيمي وقيامه بالتصدي لهم ولجهلهم واستمراءهم الخنوع تحت ظل الاستعمار وإبعادهم عن قضايا أمتهم وخدمة أغراضه الدنيئة، لذا لجأ هؤلاء الأئمة لمهاجمة الشيخ رفقة أصحابه الإصلاحيين واتخذوا منابر المساجد لسبهم و النيل منهم، لذا اختار الإبراهيمي هذه العبارة ليؤكد على عدم تراجعهم عن فضحهم والوقوف في طريقهم وأنه سيناضل ويصدح بكلمة الحق، ويرفع سيفه الذي هو قلمه ضد أعداء الأمة ويقاوم ضلالهم حتى وإن كسر قلمه، ولا نامت أعين الأئمة الجبناء.

وفي مقام آخر جاء حديثه عن دور جمعية العلماء وموقفها السياسي والذي ورد تحت عنوان "جمعية العلماء موقفها مع السياسة والساسة" حيث قال: "وحاولنا إصلاحها في رجال السياسة منا. إشفاقاً على هذه الأمة الصالحة، فبحت الأصوات، وأكدت الوسائل، فلا يقولن

¹ -الإبراهيمي عيون البصائر، ج2، ص:201.

قائل فيها وفينا غير هذا، فأهل مكة أدرى بشعابها"¹، ويظهر فيه التناص مع المثل العربي "أهل مكة أدرى بشعابها" وهذا القول كان متداول عند العرب القدامى. نظرا لوقوع مكة وسط الجبال، وكان العرب يسكنون منذ القدم حول الكعبة بين شعاب الجبال وما أكثرها، ومن لا يعرف مكة فإنه يضيع وسط هذه الشعاب و هلك من العطش. أما العربي من أهل مكة فإنه لا يضل فيها لمعرفة شعابها و مسالكها، وهنا يشير الشيخ أن للسياسة في جميع البلاد معنى محدود وقار، أما في بلادنا فلها معنى غير محدود ويضيق ويتوسع فتلتوي مسالكه وتفسد مجاريه بسبب إتباع أهل السياسة عندنا للأهواء المستعمر والذي يشبهه الشيخ بعمل الشيطان، لذا فالسياسة عندنا تتخذ دائما معنى التسفل وليس العلو. والتبذل بدل السمو فالمستعمر يتخذها وسيلة مساومة وترهيب. أما المحكومين فيتخذونها أداة للجاء وتضليل الأمة.

وفي مقالته المنشورة في عيون البصائر تحت عنوان "فصل الدين عن الحكومة" حيث ورد فيها: "فقد بلينا بحكومة، جمع فيها:" كل ما تفرق في غيرها...وقد بلوناها في جميع حالاتها و ألوانها، فإذا هي هي، تغطي الشمس بالغربال"² ويتجلى التناص مع القول العربي "يغطي الشمس بالغربال" وهذا تعبير مجازي، أي أن الحقيقة مهما حاولنا إخفاءها فلن نستطيع وأنها ستظهر في يوم من الأيام، ولا يمكن أبدا أن تعطيتها وبمناسبة حلول شهر رمضان، فكثرت الحديث عنه وهذا أمر ديني وكذلك التطرق للأمور المساجد مع توجيه الانتقاد للظلم والغاصبين لحقوق المسلمين.

فالشيخ الإبراهيمي يعاتب بحزم الحكومة الاستعمارية التي طالما تشدقت وتباهت بفصل الدين عن الدولة، فتأتي للمسلمين وتتدخل في شؤونهم الدينية وتحشر انفسها في تعيين

¹ - الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، ص:40.

² - المرجع نفسه، ص:98.

أئمة مساجده مع أن هذا الأمر يخص المسلمين دون غيرهم، كما أن نحوى المقالة هو الدعوة إلى تحرير المساجد والأوقاف من هيمنة الحكومة المسيحية والعمل على تحييدها في أمر تأسيس الجمعيات الدينية. وفضح دورها المشبوه في محاولة تشويه أصوات الخير. فتلجا للأصوات الشر للتشويش عليها. وتصادر كلمات الحق، بمرادفاتها من الباطل، وكأنها تحاول تغطية الشمس بالغربال وهذا الأمر لن يفلح أبدا.

يذكر الإمام الإبراهيمي: "...فقد زارني العاصمي مبكرا منذ سنوات وكان يومئذ يحضر جلسات نادي الترقى، ويشايح الأستاذ العقبي ظاهرا على آراءه في القضية، فأفضي إلى بهذا الرأي على أنه من بدائعه، وقال لي: إن مساعي العقبي ضائعة، وأنها ضرب في حديد بارد، وان هذا الرأي هو الرأي المقبول المعقول." ¹

ونلاحظ استخدامه للمثل العربي "لا تضرب الحديد وهو بارد" فهذا تناص يأخذ شكل التضاد مع المثل العربي "أطرق الحديد وهو ساخن" والمعنى من هذا القول تقديم نصيحة بان الضرب على الحديد البارد لا يصنع سكيناً ولا فأساً ولا منجلاً، فمهما طرقته بقوتك لن تؤثر فيه، وهو كمن يطعن في الماء والأصل في هذه الحكمة هو ضرورة الطرق على الحديد وهو ساخن، أي ضرورة التحضير الجيد واختيار الأوضاع المناسبة والظروف المواتية للإنجاز العمل المخطط له أما عنوان المقال فهو "فصل الدين عن الحكومة" ففي نصوصه تضمنين له دلالات عميقة وواضحة، وهو سعى العاصمي لتنشيط الإبراهيمي وصاحبه الشيخ العقبي للحيلولة دون نجاحهم، وفي هذا خدمة لأسياده الفرنسيين وهذا ما لا ينطلي على دعاة الإصلاح في الجزائر.

وفي موضوع آخر يستند الإبراهيمي على المثل العربي "لا نجني من الشوك العنب" وهو على الأرجح قول مأثور أو حديث ضعيف صححه العلامة الألباني: "كما لا يحتني من

¹ - الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2 ص:90.

الشوك العنب، كذلك لا ينزل الأبرار منازل الفجار، فاسلكوا أي شئتم، فأى طريق سلكتم وردتم على أهله"¹ أخرجه أبو نعيم الحلية (31/10) عن طريق إبراهيم بن يوسف حدثنا احمد بن أبي الحواري حدثنا مروان عن يزيد بن السمط بن عطاء عن يزيد بن مرثد قال: قال رسول الله...وهناك من العلماء من أنكر الحديث عن رسول الله لضعفه وعدم الثقة في الرواة. والمفيد من هذا القول أو الحكمة المتداولة عند العرب هو استحالة الحصول على أمر خير م الشر، وهذا ما أدى بالإبراهيمي إلى الاستشهاد به في نصه المنشور في جريدة البصائر تحت عنوان "الكلمة الأخيرة للأمة". وجاء فيه: "يا هؤلاء عن الاستعمار شيطان، وإن الشيطان لكم عدو، فاتخذوه عدوا وإن الاستعمار شر، ومحال أن يأتي بالخير، ومحال أن تجني من الشوك العنب"²

وفيه محاولة من الشيخ لإيقاظ الحالمين والمتوهمين من المسلمين الجزائريين الذين يتصفون بالسذاجة، ويطمعون في أن المستعمر يمنحهم حقوقهم بسهولة ومن خلال هذا التناص يعقد مقارنة بين الاستعمار الذي هو عدو والشوك الذي هو نبات حادا لأغصان ومؤذي وكلاهما أي (الشوك والاستعمار) وفيهما الشر والأذى ولا يرجى منهما أي بر وخير.

2- التناص مع الشعر العربي القديم:

لقد تأثر العلامة الإبراهيمي كغيره من الأدباء الجزائريين والعرب بالبيان العربي، فحفظ الكثير من آثاره القديمة والحديثة، في الشعر والنثر، والخطابة والمقامة وكل فنون البيان، إن هذا المخزون الوافر من روائع لأدب العربي، وهذه الثقافة العربية والأدبية العميقة

¹ - الألباني: السلسلة الصحيحة، المجلد الخامس رقم:2046، ص:74.

² - عيون البصائر، ص:321.

الواسعة، كان لهما ابلع الأثر في توجيه نثره الفني تلك الوجهة المستقيمة الجيدة التي رفعت من مقام الأدب الجزائري وجعلته يضاهاى آداب المشرق في قديمها وحديثها. والدارس لنشر الإبراهيمي يلمح في جلاء مبلغ تأثره ببعض الاتجاهات الأدبية النثرية القديمة، ومدى اعتماده على أساليب بعض أرباب البيان العربي القديم وهذا لا يعني ان نثره لا يعدو أن يكون تمثلا ومحاكاة لأساليب النثر العربي القديم بل إنه قد عرف كيف يستفيد من كل الأساليب القديمة ويستعملها في نثره بالحجم الذي يريد دون أن يكون صورة منسوجة عن أديب سابق.

تناصه مع شعر امرؤ القيس :

وفي هذا المقام يضمن الشيخ الإبراهيمي نصه الوارد في جريدة البصائر تحت بند الاستهلال والذي يتطرق فيه إلى اشتياقه اشتياقه لإعادة إصدار الجريدة من جديد وجاء فيه: "وإذا كتب لصحف الثلاث لأولى أن تستشهد في المعترك. وهي في ميعة الصبا، مقبلة غير مدبرة، لم تخس بأمانة، ولم تزن بخيانة، فقد قدر للبصائر أن تعمر وان تحتك بالزمن وأحداثه سنين"¹ وهنا نلاحظ توظيف البيت الشعري الشهير لأمرو القيس في معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *** يسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها *** لما نسجتها من جنوب وشمال

فقلت له لما عوى: إن شأننا *** قليل الغنى إن كنت لما تمول

كلانا إذا ما نال شيئا أفاته *** ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

مكر مفر مقبل مدبر معا *** كجلمود صخر حطه السيل من عل²

¹ - الإبراهيمي: عيون البصائر، ج2، ص:17.

² - أحمد الشنقيطي: شرح المعلقات العشر، وأخبار شعرائها، دار الأندلس، ط5، 1983، لبنان، س:75-86-87.

في هذا الموقف يتطرق الشيخ لعودة جريدة البصائر للصدور بعد طول احتجاب، وإزدياد شوق محبيها لها. والإبراهيمي كان احد هؤلاء حيث كان شغوفاً بمطالعتها بانتظام وقد وجه عتاب للمسؤولين عنها. وهي التي تعد احد أسلحة جمعية العلماء، ولسانها الناطق بالحق.

لما تزخر به من مواضيع عامرة بالحكم الإلهية المستلهمة من القرآن والسنة النبوية وكانت جريدة البصائر رفقة أخواتها: السنة، الصراط، الشريعة، تلعب دورا بارزا في الوقوف في وجه المبطلين والمعطلين، لكن هذه الصحف سقطت في معركة بناء وإصلاح المجتمع، وهي في عز شبابها مقبلة على عالم الصحافة غير مدبرة ولكنها لم تعمر طويلا. إلا أن البصائر استطاعت الصمود وأخذ الخبرة مع الوقت، ولقد نجح الإبراهيمي في تناصه مع إمرؤ القيس" عند وقوفه على الدار وما يتصل بذلك من بكاء وإعوال، ثم ذكره أيام لهوه مع العذارى وعتابه لصاحبه وما يتصل بذلك من وصف لخليلته، ثم ذكر الليل والاستطراد منه إلى الصيد، وما يتوسل به إلى الصيد من وصف الفرس، ثم ذكر البرق وما يتبعه من السيل¹ والتناص هنا يظهر في لفظ مقبل مدبر. الإبراهيمي يقصد به الجرائد التي تراوح بين الإصدار والاحتجاز، أما امرؤ القيس فيقصد بها الفرس الذي يشبهه بالبرق.

تناصه مع شعر المتنبي :

وفي سياق آخر يتجلى تأثر الإبراهيمي بالشعراء العرب واضحا في العديد من نصوصه، وهذا دليل على شدة حبه للشعر الأصيل، ففي مقاله "عيد الأضحى" والذي يقول فيه: "يا عيد... بأي حال عدت، وبأي نوال جدت... لهذه الأمم التي تتشوق إلى هلاك،

¹ - طه حسين: في الأدب الجاهلي، ط13، دار المعارف، القاهرة، جمع، ص:205.

وتتطلع إلى إقبالك، وتنتظر منك ما ينتظره المدلج من تباشير الصبح؟!¹ وهذا يذكرنا بشعر المتبني والذي خاطب العيد فيه قائلاً:

عيد بأي حال عدت يا عيد *** بما مضى أم بأمر فيك تجديد²

وفي هذا تشابه بين تساؤل الإبراهيمي والمتبني الموجه للعيد، فالإبراهيمي يريد منه جلب الجديد للأمة من تباشير الصباح والأمل، بعد طول انتظار في الليالي المظلمة والملية بالظلم، فالأمة تتفاعل بقدمك وترنوا لشمسك الساطعة كي تزيل سواد الليالي، وبث الحركة والنشاط ومحو أيام الشقاء والتعاسة، وهذا ما طرحه المتبني في بيته الشعري وأمله في حدوث تغيير وتجديد للواقع، أم هو نفس الوضع سيتكرس، ويدوم الأمر على حاله دون جديد يتجدد.

تناسه مع الشاعر مزرد بن ضرار الغطفاني :

في النص المنشور في البصائر بعنوان "الكلمة الأخيرة للأمة" والتي جاء في مطلعها:
 "أما آن لعشاق سلمى أن يقولوا: صحا القلب عن سلمى؟ أما آن للحالمين بالوحدة الفرنسية أن ينفضوا عنهم الأحلام؟ أما آن للمنتظرين أن يقطعوا حبل الانتظار؟
 أما آن للمعتصمين بالأمل، أن يريقوا صباية الأمل؟³
 يا هؤلاء! إن الاستعمار شيطان، وإن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا."

وفي هذه الفقرة تناس واضح مع الأبيات التي قالها الشاعر العربي مزرد بن ضرار الغطفاني (يريد) أخو الشماخ وهو شاعر مخضرم وقام برثاء عمر بن الخطاب عند وفاته رحمه الله.

صحا القلب عن سلمى ومل العوائل *** وما كاد حب سلمى يزايل

¹ - عيون البصائر: ج2، ص:529.

² - ديوان أبي الطيب المتبني، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص:270.

³ - عيون البصائر، ج2، ص:321.

فؤادي حتى طار عن شيبتي *** وحتى علا وخط من الشيب شامل

يقناه¹ ماء البرناء² تحته *** شكير³ كأطراف الثغامة ناصل

وجو القصيدة هذه يتحدث فيها الشاعر عن صحوته للحب وأسفه للمشيب وقد استعاد ذكريات الشباب ويظهر هنا حسرة وأسف على ما مضى من عمره.

لكن الشيخ الإبراهيمي في نصه الذي أستلهه وبتناص مع هذه الأبيات، ليرد على بعض الجزائريين الحالمين والطامعين في سقاء المستعمر المستحيل، وبهذا يريد الإمام الإبراهيمي أن ييبث فيهم روح الاتكال على النفس وان لا يحسنوا الظن بهذا المستعمر المخادع والذي يمنيهم بالوحدة مع فرنسا ونيل نفس الحقوق مع المواطنين الفرنسيين، وهم بهذا يعيشون في الوهم والأحلام التي لن تتحقق أبدا بل هي أمانى زائلة.

تناصه مع الشاعر البوصيري :

وفي اتجاه آخر نجد المقالة المعنونة "كلمتنا عن الأمة" يقول الأستاذ الإبراهيمي: "فطالما شغلتهم الظواهر عن تلك الحقائق، وطالما ألهمتهم القشور عن الألباب وطالما غرهم بالله ودينه الغرور، وطالما دس لهم الاستعمار السم في الدسم".⁴

والشيخ يتناص نصه مع قصيدة "البردة" للإمام شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري والتي يقول فيها:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على *** حب الرضاع وإن تقطمه ينفطم

فاصرف هواها وحاذر أن توليه *** عن لاهوى ما تولى يصم أو يصم

وراعها وهي في الأعمال سائمة *** وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

1 - يقناه، يجعله احمر قانيا

2 - البرناء: الحناء يريد أن يخضب بها.

3 - الشكير: أول ما بنيت من الشعر.

4 - عيون البصائر، ج2، ص:201.

كم حسنت لذة للمرء قاتلة *** من حيث لم يدر أن السم في الدسم

وأخش الدسائس من جوع ومن شبع *** فرب مخصصة شر من التخم

وفي هذا النص تجري الشيخ الإبراهيمي توضيح وكشف لمخاطر الاستعمار الذي يزين موائده لبعض المنبطحين فهم كنفس الطفل، لا يستطيعون الفطام عن أمهم فرنسا أو الاستغناء عنها، كما يعمل على إظهار سذاجة هؤلاء ليعتقدوا بان الخير يأتي من المستعمر فهم واهمون، فهو يزين لهم الموائد بما يضرهم وليس بما ينفعهم. بل هم إما مغرورون وإما مجرورون، ليصدقوا نوايا المستعمر لما في أنفسهم من مرض وشغف الأئمة بالوظائف التي تمنح لهم، وبهذا لا يدركون السم الذي يوضع لهم فيها، وهذه الامتيازات التي يجرون خلفها هي بمثابة شرك لا ينتفع من عوائده إلا المحتل.

تناصه مع الشاعر ابن عنين الحوراني الدمشقي الأنصاري :

وفي موضع آخر تأثر الإمام الإبراهيمي بالشعر العربي القديم مثلما يتجلى مع قصيدة "ما عدا مما بدا" وهي للشاعر ابن عنين واسمه محمد بن نصر الله من مكارم بن الحسن أبو المحاسن شرف الدين الزرعي الحوراني الدمشقي الأنصاري و يقول فيها:

يا دهر ويحك ما عدا مما بدا *** أرسلت سهم، كادئات فاقصدا

أعمدت سيفاً مرهفاً شفراته *** قد كان في ذات الإله مجرداً

فافعل بجهدك ما شاء فإني *** بعد المعظم لا أبالي بالردى

ودليلنا على تأثره بالشعر العربي هو اقتباسه من هذه الأبيات جزئية "ما عدا مما بدا" والتي ذكرها في مقاله "قضية فصل الدين، نظرنا إليها" والتي وردت في جريدة البصائر على النحو الآتي: "وهذا المنهج الذي سلكناه وقدرناه من أول خطوة هو الذي يجري عذرا في السكوت عن بعض الباطل إلى حين، مثل سكوتنا عن الصلاة خلف أئمة الحكومة، وتلامذة الفقه المعكوس فلا يقولن قائلًا: ما عدا مما بدا"، وإن لنا في رسول الله لأسوة حسنة". وفي

هذه الفقرة لنا في رسول الله لأسوة حسنة¹. وفي هذه الفقرة تتجلى حكمة الإبراهيمي ونظرته الثاقبة للأمور، وعمله على عدم بث الفتنة والبلبلة في المجتمع الجزائري وهذا السكوت على الباطل ليس معناه الموافقة عليه بل هو أسوة برسول الله-ص- الذي كان يغض الطرف عن بعض ما يكره تقديرا منه للوضع وتصرف حكيم في عدم جعل الأمور تتفاقم، ومحاولة أخرى لإيجاد الحلول أو تصحيح الوضع في الوقت المناسب، وعبرة ما عدا مما بدأ، الغرض منها التذليل على أنه ليس متغاضي عن الأمر أو مستسلم له بل هو بإرادته يصير عنه إلى حين، فلا يظن أئمة الحكومة أن الإبراهيمي بصلاته خلفهم انه راضي عنهم أو موافق على ما يقومون به، ونفس الأمر بالنسبة للشاعر أبو عنين فهو يخاطب الدهر ويخبره انه مهما حدث فإنه لن يبالي ولا يخاف مآلات الدهر ونوائبه وما دام يحب الله و يخافه فلا يخش الردى.

تناصه مع الشاعر طرفة بن العبد :

في مقالته "الدين المظلوم" يظهر شدة تأثره بشعراء المعلقات واضحا للعيان وأحدهم هو الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد، فقد استقى المقولة الشهيرة "وظلم ذي القربى اشد مضاضة" من قصيدته: لخولة أطلال ببرقة تهمد:

لخولة أطلال ببرقة تهمد *** تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفا بها صحبي على مطيهم *** يقولون لا تهلك أسي واجلد

كأن حدوج المالكية عدوة *** خلايا سفين بالنواصف من دد

عدولية او من سفين ابن يامن *** يجور بها الملاح الملاح طورا ويهتدي²

¹ - عيون البصائر، ج2، ص:164.

² - احمد الشنقيطي: شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار الاندلس، ط5، 1983، لبنان، ص: 95.

وبهذا فالتناص قائم وجلي في الفقرة الآتية: "والدين المظلوم في زماننا هو الإسلام في الجزائر: مظلوم من أهله، إذا لم يدافعوا عنه، ولم يأخذوا له بحقه من ظالمه، ومظلوم من هذه الحكومة ذات الألوان التي تحكم الجزائر بما تمليه القوة بما لا يوحيه الحق والعدل، وظلم ذوي القربى أشد مضاضة، وأشنع غضاضة"¹

وفي كلا النصين تعبير عن الظلم والأحاسيس المؤلمة، فالشاعر طرفة بن العبد كاد يهلك من شدة الأسى والحزن على فراق خولة وحين يشاهد أطلالها التي صارت كالوشم في اليد أي علوقها في الذاكرة والقلب وكلما يتذكرها يعتصره الألم لولا تهوين أصحابه عليه وتشجيعه على الصبر والجلد، وهو نفس إحساس الشيخ الإبراهيمي ولكن في مقام آخر، مع إحساسه بالظلم الذي يتعرض له الدين في الجزائر من طرف أبناءه أولاً حيث لم يدافعوا عنه وتركوه وحيداً يصارع الظلام، والأمر الثاني هو ظلم الحكومة الفرنسية الذي إبتليت به الجزائر، وتسلب قوى الباطل على الحق و أهله، وما حز في نفس الشيخ الإبراهيمي هو ظلم ذوي القربى وهو الأكثر إيلاماً للإنسان النقي الغيور على حرمان دينه، وإن تقبل على مضض جور العدو فلا يمكنه تبرير سكوت أهل الدين، وتفريطهم في حقوقه حتى ضاع منهم.

3- التناص مع النثر العربي القديم:

إن نشأة الإبراهيمي كانت متينة السبك قوية العود، وتربيته كانت غنية المورد غزيرة المعرفة، فلقد درب منذ الصغر على معايشرة القرآن والبيان العربي فحفظ الأول كله، وحفظ من الثاني الكثير من الآثار القديمة والحديثة في الشعر والنثر والخطابة والمقامة وكل فنون البيان.

¹ - عيون البصائر، ج2، ص: 137.

إن هذا المخزون الوافر من روائع الأدب العربي، وهذه الثقافة العربية والأدبية العميقة الواسعة، كان لهما أبلغ الأثر في توجيه نثره الفني تلك الوجهة المستقيمة الجيدة التي رفعت من مقام الأدب الجزائري وجعلته يضاهي آداب المشرق في قديمها وحديثها.

تناصه مع أدب الجاحظ :

ظل الجاحظ يزاول فنون الأدب والأخبار واللغة والحكمة والكلام، ويعمل الفكر ويحلل ويتوسع في ما حصله، حتى تمت له ثقافة راقية، وتنبه عقله،¹ وهذا ما يشترك معه فيه العلامة الإبراهيمي الذي كان ذا ثقافة واسعة جعلت منه دائرة معارف حية، فقد وعى في صدره جميع المعارف في الدين والأدب والتراث.

تأثر الإبراهيمي بنثر الجاحظ حيث استعمل طريقته في التكرار والإتيان بالأضداد وعلى منهجه سار ويظهر هذا في " فصل الدين عن الحكومة": "قضية شاذة، لا يجد الباحث فيها والمؤرخ لها، نظيرا فيما يباشره حكومات الدنيا من شؤون أممها، مؤمنها وملحدها ولا يجد للقوانين التي تصرفها نظيرا في قوانين الدنيا، سماويها ووضيعها، وقد يستسيغ منها أن تتصرف في كل شيء تحكما واستبدادا".² وهذا هو نفس طابع الجاحظ في كتاباته فهو يعني بألفاظه ومعانيه جميعا، دون أن يجور احد الفريقين على الآخر.

فدفعه ذلك إلى أن يعني بآراءه وأدلته وبراهينه ومقدماته ونتائجه متأثر بمعرفته بالجدل والحوار ويلهج في كتبه ورسائله كثيرا بفكرة مطابقة الكلام لمقتضى الحال ومن قوله بهذا الصدد: "إن لكل معنى شريف أو وضيع، هزل أو جد، حرفة أو صناعة، وضربا من اللفظ هو حقه ونصيبه الذي لا ينبغي أن يجاوزه أو يقصر دونه"³ ومن كتاباته: "جنبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسبا، وبين الصدق سببا، وحبب إليك التثبت،

¹ - حنا الفاخوري: نوايغ الفكر العربي، الجاحظ، دار المعارف، ط6، القاهرة، ص: 17.

² - عيون البصائر: ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 177.

³ - شوقي ضيف: الفن ومذاهبه، دار المعارف، ط9، القاهرة، ص: 164.

وزين في عينيك الإنصاف، وأذواقك حلاوة التقوى، و أشعر قلبك عز الحق، وأودع صدرك برد اليقين، وطرده عنك ذل اليأس، وعرفك ما في الباطل من الذلة وما في الجهل من القلة".¹

ومن هذين المثالين نستنتج أن الأسلوب نفسه نجده مشترك بين الجاحظ و الإبراهيمي فهما يستعملان التوازن الصوتي في الجمل، وكل جملة تقابل أختها في موازين كتابتهما الموسيقية، وهذه الموازين تحقق هذا اللون من الجمال الموسيقي الذي كان يسميه القدماء ازدواجاً، وهو في الحقيقة إيقاع وتلوين صوتي بديع وهذا ما يدفع إلى ضروب التكرار والترادف، ومنه ما كتبه الجاحظ: "وقد كنت أعجب من عيبك البعض، بلا علم، حتى عبت الكل بلا علم، ثم تجاوزت ذلك إلى التشنيع، ثم تجاوزت ذلك إلى نصب الحرب، فعبت الكتاب، ونعم الذخر والعقدة هو! ونعم الجليس والعدة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل، و الحرفة ونعم الأنيس لساعة واحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربية ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والتزير"،² ومثله يأتي في مقال "خصمان، فمن الحكم...؟!": "زين للاستعمار عمله، فطفى وبغى، وكفر وعتا، واتى من الشر ما أتى، فلو تصور إنساناً لأرى على فرعون الذي نازع الله ربوبيته، وحدثته نفسه أن يطلع إلى إله موسى، وعلى عاقر الناقة الذي جر العذاب على قومه"،³ لذا نستطيع القول أن الإبراهيمي يحكم كونه سيد كتاب العربية في الجزائر بلا منازع، وقدرته الفائقة على الخطابة بمستوى عالي وتميز نصوصه بجزالة اللفظ، وجمال العبارة، ومعالجة المعنى الواحد بعدة تعابير متقاربة، وجمل متشابهة، فميزت أدبه بخصائص فنية أدت إلى بعث مدرسة الجاحظ، أو ما يشبهها من المدارس الأدبية القديمة.

تناصه مع أدب ابن المقفع :

¹ - المرجع نفسه، ص: 169.

² - حنا فاخوري: الجاحظ، نوابغ الفكر العربي، دار المعارف، ط6، القاهرة، ص50.

³ - عيون البصائر، ج2، ص: 181.

أما ابن القفح فقد رأيناه يعمل في دواوين الحكام والأمراء، ولكن أهميته لا ترجع إلى انه كان كاتباً من كتاب الدواوين، ولكن ترجع إلى انه كان كمترجم إذ حاول أن ينقل إلى اللغة العربية خير ما عرفه في لغته الفارسية: "والحق يقال إن ابن المقفع كان من البلاغة في الذروة، ويكفي أنه استطاع أن ينقل أهم ما عرفه في لغته من تراث إلى العربية مع الاحتفاظ لها بكيانها ومشخصاتها"¹ وقد ظلت العربية عنده محتفظة بأصولها الأولى ومقوماتها الأساسية مع السلاسة والطلاوة ويبدو أن الأستاذ الإبراهيمي قد استلهم من ابن المقفع التقسيم المنطقي للعبارة والترادف الصوتي، ومما جاء في فقرات ابن المقفع في كتاب الأدب الصغير: "وسمعت العلماء قالوا لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق، ولا غنى كالرضا، و أحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى تغييره، وأفضل البر الرحمة، ورأس المودة والاسترسال ورأس العقل المعرفة بما يكون وما لا يكون وطيب النفس حسن الانصراف عما لا سبيل إليه"²، ومن هذا الأسلوب الذي يمتاز به ابن المقفع الذي يقتبس منه الإبراهيمي خواصر نصوصه التي تمتاز بالدقة والمتانة، مثل ما جاء في فقرته: "عادت لعترها لميس": أما حكومة الجزائر فإنها، تتعمد تلك المعنويات بالقتل الوجي، عمدا مع الإصرار، وجهرا ليس فيه سرار، وعنادا لا رجوع فيه ولا توبة منه، وغاية أمرها أنها تسن القوانين القائلة وتتناسى تنفيذها، تغليظا للمغفلين، وإيهاما للمتقدين. أرم دينك باسم دينك، واخدم أمتك باسم دينك، واكذب على تاريخك باسمه، وعن رسومه بما بقي من رسمه، أجهز على البقية الباقية، ولك مني الجنة الواقية والمنزلة الراقية، وفي خدمتك المذيع، وفي نصرتك الأتباع والأشياء."³

¹ - شوقي ضيف: الفن ومذاهبه، ص: 142.

² - شوقي ضيف: الفن ومذاهبه ، ص: 142.

³ - عيون البصائر، ص: 379.

وفي مقال آخر نجد أن الإبراهيمي جد متأثراً بأدب ابن المقفع إلى حد كبير فقد وجد في كتابه كليلة ودمنة" والذي هو عبارة عن قصة مصورة متشابكة الحلقات تدعو إلى التمسك بالفضيلة والحلم، والبعد عن الهوى مع الصدق في القول والعمل ويجري وقائعه على السن الحيوانات بأسلوب ظريف جذاب من الفكاهة والمتعة والذوق واللقطات الفلسفية والمعاني الإنسانية، والمثل الأخلاقية، والفضائل العالية ما يجعله من الآثار الخالدة¹. وفي هذا الصدد فيجب أن نشير إلى أن كليلة ودمنة يزخر بنصوص أدبية غاية في الروعة والجاذبية مما أستلهم الأدباء والكتاب.

ويعتبر الإبراهيمي أحد المتأثرين بنثر ابن المقفع وأدبه وأسلوبه، فقد سلب عقله هذا النوع من التأليفات الأنيقة كما تأثر به إلى أبعد الحدود كما جاء في مقالة: "جناية الحزبية على التعليم والعلم: ونوادي بلغت العشرات، غايتها إصلاح ما أفسدت المقاهي والملاهي من أخلاق الشباب، وكلها ميادين للعمل، ومنابر للخطابة، ومستغلات للعلم والتعليم، وآلاف من الشباب العربي المسلم كان كالمجهول في نسبه وكالجاهل لحسبه"² مثله نجده عند ابن المقفع حين يكتب فهو يمتاز بالإيجاز في الجمل، مع الوضوح والشفافية، دون تعقيد ولا إغراب وإنما فيه الاسترسال العذب، مع العبارات المبسطة حسب الأغراض والمعاني، حين قال: "إن كان للملوك فضل في مملكتها فإن للحكماء فضلا في حكمتها أعظم: لأن الحكماء أغنياء عن الملوك بالعلم وليس الملوك بأغنياء وعن الحكماء بالمال، وجدت العلم والحياة وإلفين متألفين لا يفترقان، متى فقد أحدهما لم يوجد الآخر، كالمتصافيين إن عدم منهما احد لم يطب صاحبه نفسا بالبقاء بعده تأسفا عليه"³ وعندما نلقي نظرة على إنتاج الإبراهيمي نجده يمتاز بنفس الأسلوب فهو يقوم على السهولة والوضوح مع توفير الجزالة والرصانة

¹ - ابن المقفع: كليلة ودمنة، مؤسسة المعارف، بيروت، ط4، 1983، ص:05.

² - آثار الإبراهيمي، ص:114.

³ - ابن المقفع: كليلة ودمنة، مؤسسة المعارف، ط4، 1983، بيروت، ص:16.

والإيجاز والمعاني يصل إليها بأقل الألفاظ دون تقصير أو إطالة تجحف بحقوقها، وهذا ما نجده عند ابن المقفع، وينطبق على الإبراهيمي الذي لم يكن يتوسع في رصف الألفاظ وبسطها حتى لا تخونه في أداء معانيه. وفي آخر هذه المقارنة نرى أن كليهما غايتها أين يوفقا بين اللفظ الدال والمعنى المدلول، مع التعاون بين المعنى الحصيف واللفظ الرشيق.¹

تناصه مع أدب ابن العميد :

عند تطرقنا للكاتب ابن العميد فإننا لا يمكن تجاهل ظروف عصره التي نشأ فيها ونظرا للإلمامة بجميع ضروب الثقافة التي كانت منتشرة في ذلك العصر، وقد لقب باسم الجاحظ الصغير".² كما قيل عنه: "أنه أكتب أهل عصره واجمعهم لآلات الكتابة حفظا للغة والغريب، وتوسعا في النحو والعروض، واهتداء للاشتقاق والاستعارات، وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية والإسلام ولقد أتاح ابن العميد لنفسه ثقافة واسعة، ويعد أستاذ عصره في فن التصنيع، وقد أقر له ببراعته و فصاحته وامتيازه في كتابته، وبضرب به المثل في البلاغة مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها إلى براعة المعاني ونفاستها، ومما تميز به ابن العميد في أدبه هو صورة السجع من جهة والاحتكام إلى البديع، لذا فهو أستاذ مذهب التصنيع بالمعنى الدقيق مثل ما جاء في كتاباته: "كتابي، وأنا متأرجح بين طمع فيك، ويأس منك، وإقبال عليك، وإعراض عنك، فإنك تدل بسابق حرمة، وتمت بسالفة خدمة، أيسرهما يوجب حقا ورعاية، ويقتضي محافظة وعناية، لا جرم أني وقفت بين ميل إليك و ميل عليك أقدم رجلا لصدك، وأؤخر أخرى عن قصدك"³ وهذه الرسالة تمضي كلها هكذا بين السجع والعناية بالبديع، فكلها تحف من السجع وطرق من الجناس والطباق والتصوير، فأساليبه كلها ثروة زخرفيه هائلة، وهذا ما نلقاه عند أديبنا الموهوب البشير الإبراهيمي في كتاباته

¹-شوقي ضيف: الفن ومذاهبه، ص:144.

²- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه ، ص:206.

³-المرجع نفسه، ص:209.

أيضا: "عيد العرش المحمدي العلوي": "أيها الإخوان بالمغرب الأقصى، نحبيكم على بعد الدار، وحيلولة الجدار، ومعاكسة الأقدار، تحية ود لا تقابل بالرد، ونهنئكم بهذا العيد السعيد، تهنئة الغريق لمن بالساحل والمبعد لمن طويت له المراحل، وندعو للجالس على العرس، بالتأييد من ذي العرش، ونتمنى لكم سعادة يطرز حواشيها النعيم، وسيادة تدفع إلى حرم العز من ثنية التنعيم"¹. وهذا الأسلوب السجعي المنتشرة في كتابات الإبراهيمي والذي يعتبر هو زعيمها، و في مثل هذه المقالة الخاصة ب"عيد العرش المحمدي" أو "تحية غائب كالأيب" ودمعة على المنصف". ففي هذه النصوص يتجلى السجع الفني، وهو سجع لا يصدر عن الكاتب بطريقة عفوية وإنما يحتال عليه صاحبه ليقبل عليه ويعالجه ليستوي له. فيؤلف من كلامه، وينسج بواسطته كتابته الفنية فإذا هي قطع من الموسيقى اللفظية الجميلة وإن كان الكاتب قويا موهوبا، ومن الموسيقى الناشئة النابية القلقة إن كان الكاتب ضعيفا محروما.² يقول الإبراهيمي: "كتبت أيها الشيخ، كثيرا من الباطل. وسنكتب قليلا من الحق، ولكن قليلنا لا يقال له قليل، ولو كنت وحدك، تكتب بقلمك، وتقول بلسانك، وتعبّر عن فكرك، وسكتنا عنك في ماضيك القريب وفي ماضيك البعيد، احتقارا لشأنك، واستهانة بما اهان الله منك، وربما عذرتناك في مجانبتك للصدق بأنك لا تعرفه"³. ففي هذا المقطع نلاحظ أن الإبراهيمي يصطنع في كتابته أسلوبا مسجوعا متقلا بالألفاظ الموسيقية الحادة، ويميل إلى اصطناع السجع كلما مال إلى الذاتية واغترف منها، فكان أديبنا يتخذ من هذا الأسلوب أداة شعرية للتعبير عن عواطفه الجياشة الفياضة الهائجة كالبركان الذي يقذف بالحمم،⁴ وهذا مثل ما يتعلق بسجع ابن العميد حين قال: "فلا بدع أن تأتي من إحسانك بما

¹-عيون البصائر، ص:444.

²-عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص:344.

³-عيون البصائر، ص:629.

⁴-عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي، الجزائر، ص:345.

لا ترتقبه أعداؤك وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت، واخترت ما اخترت، فلا عجب أن تنتبه انتباهه تبصر فيها قبح ما صنعه وسوء ما آثرت، وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماثلة ما صلح، وعلى الاستثناء والمطاوله ما أمكن".¹ وكل ما نستنتجه عند الأدبيين

ابن العميد والإبراهيمي أنهما لا يطيلان في السجع وإن طال زمن العبارتين، المسجوعتين قصره بهذه الحيلة، من إحداث المعادلات والموازنات. وهذه هي صورة التصنيع عندهما، فهما يعمدان إلى خزف البديع يوشي به لفظهما وهما يتخذان لفظا مرصعا بالسجع. كما يجتهدان في تحسين سجعهما مع الإكثار من وشي بديعهما باقتدار ومهارة، فقد كانا زعيمين لمذهب التصنيع لكن كل واحد في عصر مختلف.

تناصه مع أدب عبد الحميد الكاتب :

كان عبد الحميد الكاتب أبلغ كتاب الدواوين في العصر الأموي وأشهرهم، وقد ضربت ببلاغته الأمثال، فقبل فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد. وقد بقيت منشورات من رسائل عبد الحميد الكاتب تشهد بفصاحته ولسنه، ومقدرته على التعبير والبيان مع الفخامة والطلاوة، ومما جاء في رسائله الطريفة التي تصور مهارته البيانية تصويرا دقيقا. رسالته إلى أهله وهو منهزم مع مروان يعزيهم عن نفسه: "أما بعد فإن الله جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور وجعل فيها أقساما مختلفة بين أهلها، فمن درت له بحلاوتها وساعده الحظ فيها سكن إليها، ورضي بها وأقام عليها. ومن قرصته بأظفارها وعضته بأنيابها وتوطأته بثقلها، قلاها نافرا عنها، وذمها ساخطا عليها، وشكاها مستزيذا منها، وقد كانت الدنيا أذاقتنا من حلاوتها وأرضعتنا من درها أفاويق، استحليناها ثم شمسنا منا نافرة وأعرضت عنا متكرة، فملح عذبها، وأمر حلوها، وخشن لينها، ففرقتنا عن الأوطان

¹-شوقي ضيف: الفن ومذاهبه، ص:210.

وقطعتنا عن الإخوان فدارنا نازحة، وطيرنا بارحة قد أخذت كل ما أعطت. وتباعدت مثلما تقربت، وأعقبت بالراحة نصبا وبالجدل هما، وبالأمن خوفاً، وبالعز ذلاً، وبالجدة حاجة وضراء¹ وهذا الأسلوب الذي يجمع بين العناية بالصياغة والتعبير عن العاطفة والشعور وبين التعبير عن الفكرة.² فقد اشتهر كتاب الإصلاح ومنهم الإبراهيمي ويظهر تناصه مع عبد الحميد الكاتب في نثره واضح اشد الوضوح في مقاله "ذكرى 8 ماي": "أمة كالأمم حلت بها. ويلات الحرب كما حلت بغيرها، وذاقت لباس الجوع والعري والخوف، وتحيفت الحرب أقواتها وأموالها، الشكل أمهاتها واليتم أطفالها، وأكلت شبابها و قطعت أسبابها، وصلبت نار الحرب ولم تكن من جناتها، وقدمت من ثمن النصر مئات الألوف من أبنائها قاتلوا الغير غاية، وقتلوا من غير شرف، وتهيأت كل أمة أن تستقبل بقايا النار من شبابها، وكل أم أن تعانق وحيدها...وعاد بالتقبيل على من كانوا بالأمس يمدون حياته بحياتهم ليريهم مبلغ الصدق في تلك الوعود، فإذا بقي منهم كلب بالوصيد، أو من ديارهم قائم غير حصيد، وجعل أيامه خاتمة لأيام الدم والحديد فقد فتح الناس أعينهم في يوم واحد على بشائر تدق بالنصر، وعلى عشائر تساق للنحر"³.

ومن خلال هذه المقارنة أو المقابلة بين الأدبيين نستنتج أن الإبراهيمي قد استلهم من النصوص القديمة ومنها نصوص عبد الحميد الكاتب، ونلاحظ انه يوجد تباعد بين النثرين ولكن المدار الفكري واحد، والمنبع نفسه، مع اختلاف في بعض التفاصيل.

تناصه مع أدب بديع الزمان الهمداني :

أما بديع الزمان الهمداني، فليس هناك كاتب في القرن الرابع نال من التمجيد والثناء ما ناله الهمداني، وحتى الناس لا يعرفونه بلقبه، وإنما يعرفونه باسمه الذي أطلقه عليه

¹-شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط9، القاهرة، ص:119.

²-محمد مصايف: النثر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، الجزائر، ص:137.

³-عيوب البصائر، ص:370.

معاصروه، وهو يعني في رسائله بتطبيق أساليب التصنيع عناية واسعة، وقد أفرط في ذلك إفراطاً أتاح للتصنع من أن يتسرب إلى كتاباته، وقد كان همه أن يجمع في كل مقامه من مقاماته طائفة من الأساليب البلاغية المصنعة التي تعتمد على السجع والبديع، ويسوق في تجميل كل مقامه بأوسع طاقة ممكنة من الزخرف والزينة والتتميق ومن ثم انصرف عن الموضوع إلى الأسلوب، وذهب يجمله ويرصعه فنونا من التجميل والترصيع.

أما بالنسبة لشيخنا الإبراهيمي فإن خاصية اصطناع المحسنات البديعية صفة طاغية في نثره، ملازمة له، لا تكاد تخلو منها مقالة بل فقرة، إنها من ثوابت أسلوبه المتأنق، ومن وسائل الإبداع والإجادة في فنه، كأنها الريشة والأصابع في يد الفنان الماهر لا يتخلى عنها ما دام يريد تعبيراً عن فكرة أو تنوير لشيء.¹

وأبرز هذه المحسنات في نثر الإبراهيمي ظاهرة السجع، إنها لا تكاد تفارقنا نصاً ولا قطعة، بل لا يكاد يخلو منها جملة أو سطر مثل ما كان في "سجع الكهان".
والدارس والمتمعن في نصوص أدبينا، لا يرى في محسناته أي تكلف ولا أي سداجة و إنما يرى الجمال والإبداع يرى السجع الفني والجناس المحلي والطباق الذي يخدم المعنى مثل ما جاء في هاته الفقرة: "ويا أخلاف، ماذا صنعتكم؟ وبماذا اقتنعتكم؟ هذه آثار سلفكم، عرف الغريب مواقعها، وجهلتهم مواضعها، فهل النسب مدخول؟
أو الانتساب غير منخول؟ ويلكم! إن الألوان، على الدلالة أعوان، سود بنو العباس سؤددهم وبيض العلويون لطهارتهم. وخضر العبيديون لدعواهم ودعايتهم".²

وفي هذا الأسلوب نجد له ما يقابله عند بديع الزمان حيث جاء في إحدى مقاماته: "حدا بي إلى سحبتان أرب فاقتعدت طيته، وامطيت مطيته، واستخرت الله في العزم

¹- عبد الملك بو منجل: النثر الفني عند الإبراهيمي، ط1، ببيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009، ص: 106-107.

²- عيون البصائر، ص: 608.

جعلته أمامي، حتى هداني إليها فوافيت دروبها، وقد وافت الشمس غروبها، واتفق المبيت حيث انتهيت، فلما إنتضى نصل الصباح، وبرز جيش المصباح".¹ وفي نص آخر من "سجع الكهان" يقول الإبراهيمي "أقسم بالذيب الاطلس، والثعبان الأملس، إن المتجر بالأحرار المفلس، وإن العاقل بين الأشرار المبلس، وإن العربي لزنيم إذا بقي في المجلس، ذهب العز الاقعر، وحل الجد الاتعس، ونزل من غير الزمان ما أنسى النسيب في الكتيب الاوعس، والتشبيب بالثغر الالعس، أيها الهائمون في البيد، النائمون على الذل المبيد، الراضون بعيشه العبيد، على البرير والهيبد، لن تزالوا كذلك أبد الأبيد لا عمر لبد أو لبيد".² وهو تشبيه بما جاء لدا بديع الزمان: "كتابي وأنا احمد الله إلى الشيخ وأدم الدهر فما ترك لي فضة إلا فضها، ولا ذهباً إلا ذهبته به، ولا علقا إلا علقه، ولا عقارا إلا عقره، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا مالا إلا مال عليه، ولا حالا إلا حال عليه، ولا فرسا إلا إفترسه ولا سندا إلا استند به ولا لبدا إلا لبد فيه.

ولا بزة إلا بزها، ولا عارية إلا إرتجعها، ولا وديعة إلا إنتزعها، ولا خلعة إلا خلعها ولا حلية إلا الجلدة. ولا بردة إلا القشرة".³ وكما يذكر الإبراهيمي في مقام آخر "تأثر للغرب في فلسطين، لم تنبت عليه شجرة من يقطين، وشياطين وتنزو للإغراء إثر شياطين ويوم في أعناقكم بيوم حطين، تنسيه غريزة الماء والطين، فتذكره نعة الجنس والدين، انسيتم يوم تنادو مصبحين، وتعادوا مسلحين، وتداعوا مصطلحين".⁴ والإبراهيمي عندما يأتي بالسجع لا يأتي به مفصولا عن المعنى، فيأتي من غير تكلف ولا جهاد، وهو المتمكن من ألفاظ اللغة العربية وتراكيبها، وعرف كيف يبدع في تصوير الفكرة تصويرا جميلا ساخرا، وكيف يختار عنها

¹-بديع الزمان الهمداني: المقامات، الآثار الأدبية، موفم للنشر، 1988، ص:25.

²- بديع الزمان الهمداني: المقامات ، ص:609.

³-شوقي ضيف: الفن ومذاهبه، دار المعارف، ط9، القاهرة، ص:242.

⁴-المرجع نفسه، ص:609.

للتعبير عنها أدق الألفاظ وأجملها وأطربها. ويكثر من استعماله للإيقاع الصوتي لغرض
توظيفه التوظيف الفني، مما يدل على أنه يملك فعلا زمام اللغة العربية.¹

¹- عبد الملك بو منجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، ط1، 2009، بيت الحكمة للنشر، الجزائر، ص: 108-111.



جامعة المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والآداب العربي

طور الماستر

العنوان :

التناص الديني والأدبي في كتابات محمد البشير الإبراهيمي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص : أدب جزائري

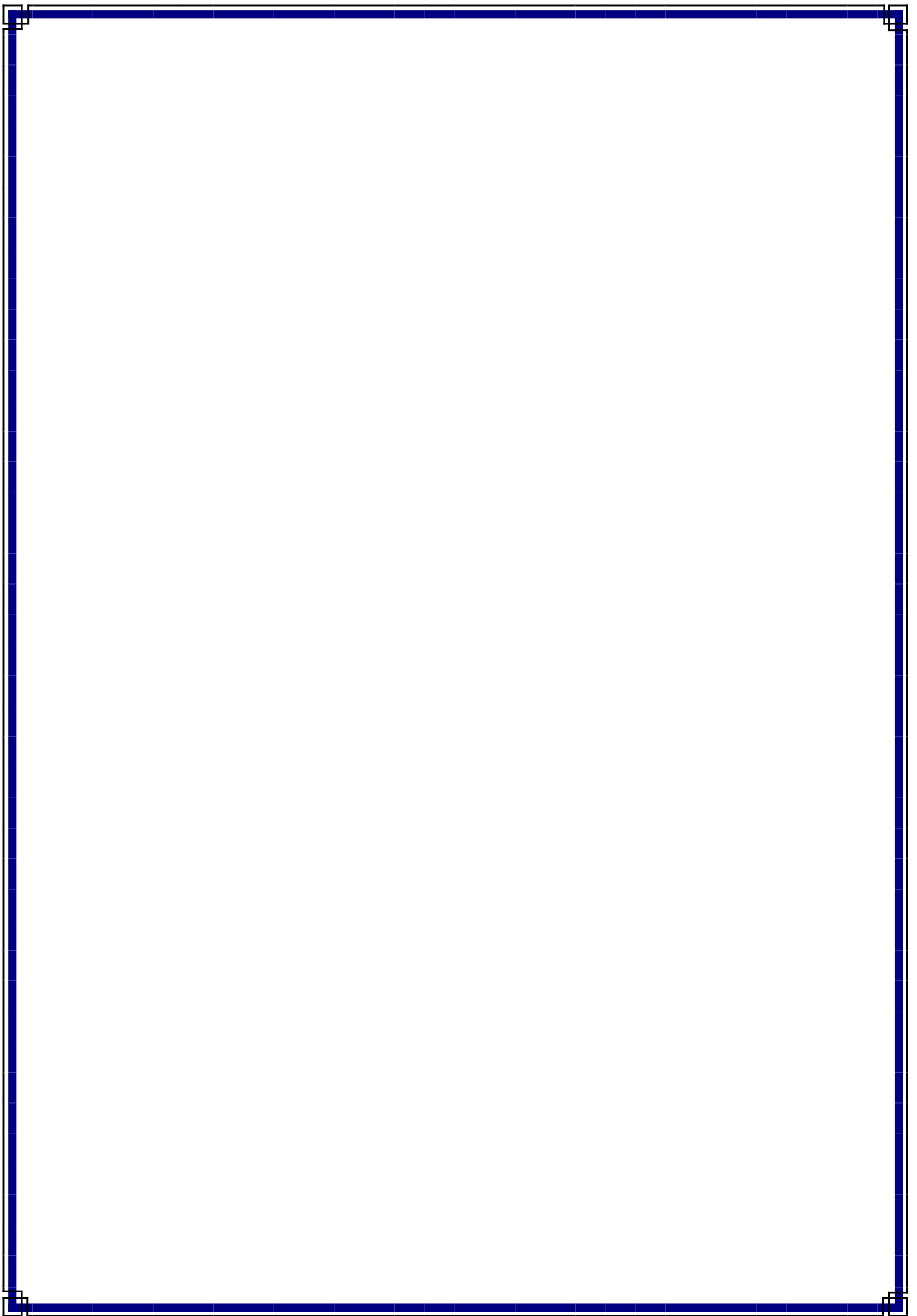
إشراف الأستاذ :

عبد اللطيف حجاب

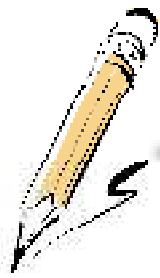
إعداد الطالبة :

سميرة بختي

السنة الجامعية : 2014/2013



خاتمة



في الختام نحاول إجمال ما فصلنا القول فيه في الفصول السابقة مع التذكير بان ما قمنا به يعتبر محاولة ونتيجة للخوض في فكرة معينة، وحاولنا بلورة مفهومها و تبين أهميتها. فعرفنا مصطلح التناس و حاولنا تتبع جذوره باعتباره ممارسة لغوية دلالية لا مفر منها لأي أديب، فالنص الأدبي هو عملية الاستيعاب. وتفاعل كثير من النصوص السابقة. يتناس الأدياء معها بطرق مختلفة ومستويات متفاوتة والتناس هو احد المفاهيم السيميائية الجديدة التي أدخلت في الخطاب النقدي تتبلور عند ثلة من النقاد الغربيين كريستيفا وبارت وجينيت. وهو موجود عند العرب كما عند الغرب.

والتناس له إمكانيات هائلة في مقارنته للنصوص الأدبية والبحث عن مكن الجمال والإبداع فيها وهو يندرج ضمن عدد من المصطلحات مثل التضمين، الاقتباس، السرقات...وعليه فهذه المصطلحات لا تؤخذ دون الرجوع على أصولها الاشتقاقية وخلفياتها المعرفية. كما لابد من التنقيب عنه في التراث لشحنه بالمدلول الجديد وما نستنتجه من نتائج في بحثنا هذا:

- صعوبة الإرساء على بر واحد في وضع جامع لمصطلح التناس.
- اتساع الموضوع وصعوبة تناوله في بحث واحد من كل جوانبه.
- تقاطع الفكر الغربي مع الفكر العربي والأسبقية للعرب، والتنظير يحتكره الغرب.

وفي الأخير التناس هو إعادة إحياء وإبداع الأعمال الأدبية سابقة وله جماليات جمة ونظريته تستبعد النظرية المثالية في خلق النصوص، فالنص الأدبي ليس وحيا أو إلهاما أوحى به ربات الفن، ولكنه نسيج لغوي مكتنز بشتى الثقافات. إنه تفاعل نصي خلاق يقيم علاقات تناسية مع خطاب التواصل الشفوي اليومي ومع الرموز والإشارات التاريخية ومأثورة الأدب مما جعل النص الأدبي حقا معرفيا ونسيجا ثقافيا يصعب فك خيوطه، لذا فأدب الإبراهيمي لم يخرج عن هذه القاعدة فأمر طبيعي أن يحدث احتكاك فكري أدبه وبين آداب

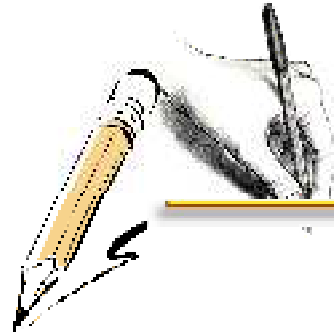
عصور سابقة فهذه الشخصية الفذة ونظرا لشدة تعلقه بالقصص القرآني وتشربه من أحاديث خير الأنام المصطفى صلى الله عليه وسلم. وأيضا الشيخ شب علي النصوص الأدبية العربية للعصور السابقة من الجاهلي إلى العباسي...فهذا كله برز واضحا من خلال مؤلفاته. فمن يدرس كتب الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الكاتب وغيرهم وكذا الاستعمال المفرط للأمثال والحكم العربية القديمة والإشعار المختلفة لابن العبد والمنتبي فلا بد أن يتأثر بهم وهذا دليل على شدة التأثير وقوة التواصل بين الأجيال المختلفة عبر الأزمنة المتعاقبة.

** كلمة شكر وعرافان **

اللهم لك الحمد على نعمة العلم و على
رعايتك و توفيقك في أداء هذا العمل
فאלلهم أنفعنا بما علمتنا و علمنا ما
ينفعنا و زدنا علما
نتقدم بشكرنا و امتناننا إلى الأستاذ
القدير "حجاب عبد اللطيف" الذي أشرف
علي و ساهم بنصائحه القيمة في إثراء
هذا العمل ومراجعة خطواته
فنسأل الله العلي القدير أن يبارك له في
صحته ومهنته
كما نوجه كامل تقديرنا إلى جميع
أساتذنا في قسم اللغة والأدب العربي
في الختام نشكر كل من ساعدنا في
إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد
جزآكم الله عنا خير الجزاء..... آمين

سميرة

فهرس الموضوعات



شكر وعران

فهرس الموضوعات

أ مقدمة

5 مدخل تمهيدى: الجوانب الحياتية والفكرية للبشير الإبراهيمى

الفصل الأول: تطور نظرية التناص

19 أولاً: تعريف التناص

19 1- لغة

20 2- اصطلاحاً

24 ثانياً: إستراتيجية التناص

24 1- التناص عند العرب القدامى

28 2- التناص فى النقد الغربى

33 3- التناص فى النقد العربى المعاصر

37 ثالثاً: مظاهر التناص.

37 1- النص الغائب

37 2- السياق

38 3- المتلقى

38 4- شهادة المبدع

39 رابعاً: أشكال التناص

39 1- التناص الداخلى

39 2- التناص الخارجى

39 3- التناص الضرورى الاختيارى

الفصل الثاني: التناص الديني والأدبي في كتابات البشير الإبراهيمي

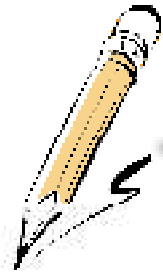
- 42 تمهيد
- 43 أولاً: التناص مع القرآن الكريم: لفظاً أو معنى
- 51 -التناص اللفظي مع القرآن الكريم
- 55 ثانياً - التناص مع الحديث النبوي الشريف لفظاً أو معنى
- 60 ثالثاً : التناص مع التراث العربي
- 60 1- التناص مع الأمثال والحكم العربية
- 61 *ذهب مع الريح
- 61 * لا الزلال جمع ولا الأرض نفع
- 61 * بقت دار لقمان على حالها
- 62 * رب ضارة نافعة
- 63 * القافلة تسير والكلاب تنبح
- 63 * ماولد في طالع النحس
- 64 *ماحك جلدك مثل ظفرك
- 65 * لانامت أعين الجبناء
- 66 * أهل مكة أدرى بشعابها
- 66 * لا تغطي الشمس بالغريال
- 67 * لاتضرب الحديد وهو بارد
- 68 * لا نجني من الشوك العنب
- 69 2- التناص مع الشعر العربي القديم
- 69 *تناصه مع شعر امرؤ القيس
- 70 *تناصه مع شعر المتنبي
- 71 *تناصه مع مزرد بن ضرار الغطفاني

- 72 * تناصه مع قصيدة «البردة» للبصيري
- 73 * تناصه مع الشاعر ابن عنين الحوراني
- 74 *تناصه مع شعر طرفة بن العبد
- 75 3- التناص مع النثر العربي القديم
- 76 *تناصه مع أدب الجاحظ
- 77 *تناصه مع أدب ابن المقفع
- 80 * تناصه مع ادب ابن العميد
- 82 * تناصه مع أدب عبد الحميد الكاتب
- 83 *تناصه مع بديع الزمان الهمذاني
- 87 خاتمة

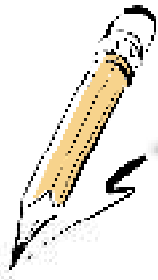
قائمة المصادر والمراجع

ملخص الدراسة

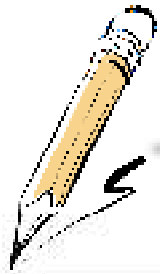
مقدمة



مدخل تمهيدي



الفصل الأول



الالتزام في الشعر
العربي الحديث

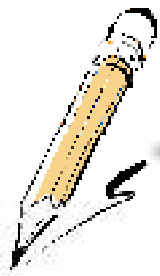


أولاً: ماهية الالتزام

ثانياً: النشأة والتطور

ثالثاً: نماذج من الشعر العربي الحديث

الفصل الثاني



ظاهرة الالتزام في الشعر
الجزائري الحديث

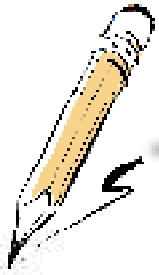


أولاً: الالتزام بقضايا الثورة الجزائرية

ثانياً: الالتزام بقضايا الأمة العربية والإنسانية

ثالثاً: نماذج من الشعر الجزائري

الفصل الثالث



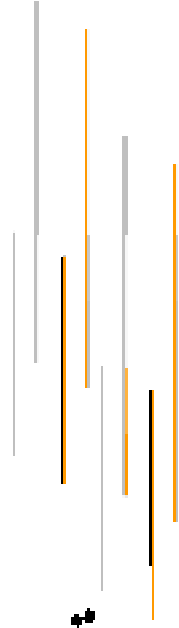
ظاهرة الالتزام عند
بلقاسم خمّار



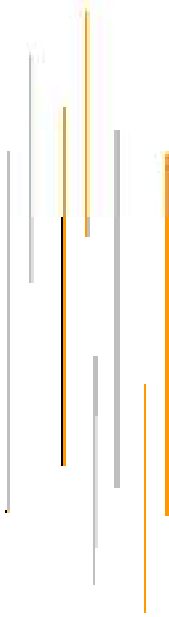
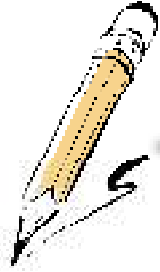
أولاً: اللغة

ثانياً: الأسلوب

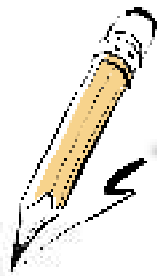
ثالثاً: الصورة الشعرية



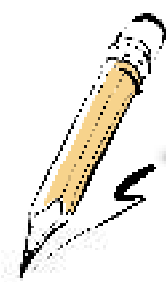
خاتمة



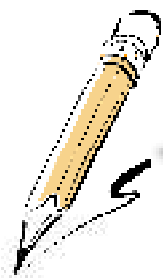
قائمة المراجع



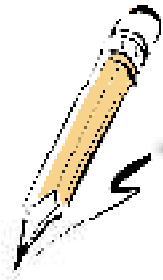
قائمة الملاحق



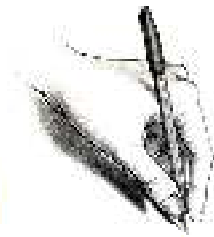
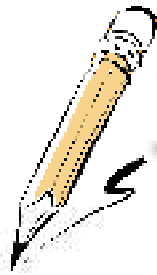
المُلخَص



فهرس الموضوعات



قائمة المراجع



قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم برواية حفص عن الامام عاصم الكوفي ،درسه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة وتمت كتابته في المجمع وراجعته اللجنة العلمية ودققته علة كتب القراءات والرسم والضبط والتفسير والوقوف ، وكانت اللجنة برئاسة الشيخ على بن عبد الرحمان الحذيفي عام 1427 هـ وقد كتبه الخطاط عثمان طه .

*السنة النبوية : قولية

أولاً: المصادر.

1-البشير الابراهيمي : آثار البشير الابراهيمي ،ج1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1981

2- البشير الابراهيمي : عيون البصائر 2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر

3-البشير الابراهيمي : آثار البشير الابراهيمي ، ج3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر 1982

4-البشير الإبراهيمي : في قلب المعركة ، شركة دار الامة للطباعة والنشر ، الجزائر ، ط1 1994

ثانياً:المراجع .

1-احمد الشنقيطي: شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار الاندلس، ط5، 1983، لبنان.

2-أحمد بطاط: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دتار النشر المؤسسة الصحفية بالمسيلة، الجزائر، 1912

3-بدوي طبانة: السرقات الأدبية، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1986.

4-بديع الزمان الهمداني: المقامات، الآثار الأدبية، موفم للنشر، 1988

5-صحيح البخاري: ألف ابن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ألفا للنشر والتوزيع، ط1، 2010

قائمة المصادر والمراجع

- 6- جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة، الجزائر
- 7- جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
- 8- جيرار جنيت: مدخل لجامع النص، ترجمة: عبد الرحمان أيوب، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1989.
- 9- ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، دار العودة، بيروت.
- 10- حنا الفاخوري: نوابغ الفكر العربي، الجاحظ، دار المعارف، ط6، القاهرة.
- 11- حنا فاخوري: الجاحظ، نوابغ الفكر العربي، دار المعارف، ط6، القاهرة.
- 12- رولان بارت: دروس السيميولوجيا، ترجمة: عبد السلام بقاع عبد العال، دار توبقال، ط2، 1982.
- 13- رولان بارت: نظرية النص، تر: منجي الشملي وعبد الله صولة، حوليات جامعة تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 27، 1988.
- 14- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار السنين العلمية، ط1، لبنان، 2001
- 15- الفيروز ابادي : القاموس المحيط ج2 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .
- 16- سعيد يقطين: الرواية والتراث السردي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1992
- 17- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط9، القاهرة.
- 18- صبري حافظ: التناص وإشارات العمل الأدبي، عيون المقالات، عدد 02، دار البيضاء، 1986.
- 19- طه حسين: في الأدب الجاهلي، ط13، دار المعارف، القاهرة.
- 20- عبد الجليل مرتاض: التناص، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011-2012، الجزائر

قائمة المصادر والمراجع

- 21- عبد الحلیم عویس: الشیخ البشیر الإبراهیمی وجهوده فی الإصلاح الدینی فی الجزائر،
22- عبد القادر بقشی: التناص فی الخطاب النقدي والبلاغي، إفريقيا الشرق، الدار
البيضاء، المغرب، 2007
- 23- عبد الملك بو منجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، ط1، 2009، بيت الحكمة
للنشر، الجزائر
- 24- عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،
الجزائر، 1983.
- 25- فتیحة كحلوش: بلاغة المكان قراءة فی مكانية النص الشعري، ط1، الانتشار العربي،
بيروت، لبنان، 2008
- 26- كمال أبو ديب: في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1987
- 27- صحيح مسلم: الإمام أبي حسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الأصاله للنشر،
ط1، الجزائر، 2010
- 28- ابن المقفع: كلیلة ودمنة، مؤسسة المعارف، بيروت، ط4، 1983.
- 29- ابن منظور: لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت،
لبنان.
- 30- ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2
- 31- محمد مصايف: النثر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، الجزائر
- 32- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري - إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي،
لبنان، 1992.
- 33- محمد مهداوي: البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، دار الفكر، مصر، 1988.
- 34- مصطفى السعدني: التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، توزيع دار المعارف،
الإسكندرية، 1991

قائمة المصادر والمراجع

35- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة، ج2، الجزائر.

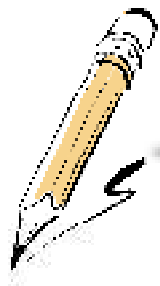
ثالثا: المجلات.

1- مجلة الثقافة، العدد 87، مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة، 1985، الجزائر.

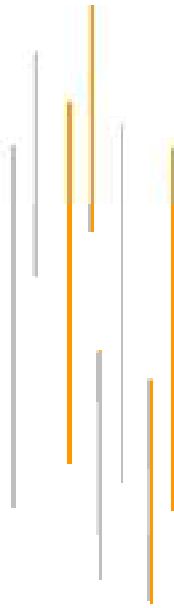
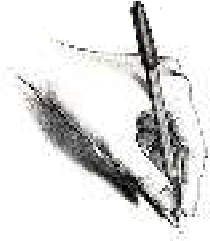
رابعا: الرسائل الجامعية.

1- تومي نورة: التناص الديني في متن العارفين لعقاب بلخير، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2013.

2- وناسة صمادي: التناص في رواية الجازية والدرأويش، جامعة باتنة، 2003



مدخل تمهيدى



العلامة البشير الإبراهيمي حياته وفكره

الإمام محمد البشير الإبراهيمي أحد أئمة الإصلاح والتجديد في المجتمع الجزائري وأحد فطاحلة الأدب المغاربي الحديث. وكل من عايشه واستمع إليه وهو المحاضر أو الخطيب أو مدرسا أو قرأ مقالاته وبحوثه وكتبه وإبداعه يدرك تماما أننا أمام رجلا مصلحا وأديبا بارعا. فهو يمتلك من الأدوات والمؤهلات العقلية والعلمية والنفسية والخلقية والبيانية التي ساعدته على تحقيق هدفه الذي يصبو إليه. وهو بناء مجتمع جزائري متماسك والتصدي للمستعمر الغاشم.

لن نجد أفضل من الإبراهيمي من تكلم عن سيرته الذاتية وسرد وقائعها حين قال عن نفسه معرفا بها: "أنا محمد البشير الإبراهيمي ولدت يوم الخميس عند طلوع الشمس في 14 شوال سنة ست وثلاث مائة وألف الموافق للثالث عشر يونيو سنة 1889. قبيلتي تعرف بأولاد براهيم ويرفع نسبها إلى إدريس بن عبد الله الجد الأول للأشراف الأدارسة وموطننا الذي تقلب فيه أجدادنا في تاريخ ضارب في القدم هو السلاسل الغربية المتفرعة عن جبل الأوراس. وهي قمم تفصل بينها مسالك أودية وطرق هابطة من التلال إلى الصحراء.¹ نشأت في بيت والدي. فبدأت في التعلم وحفظ القرآن في الثالثة من عمري على التقليد المتبع في بيتنا الشائع في بلدنا. وكان الذي يعلمنا الكتابة ويلقننا حفظ القرآن جماعة ويشرف علينا إشرافا عاليا عمي شقيق والدي الأصغر الشيخ محمد المكي الإبراهيمي رحمه الله.²

فلما بلغت سبع سنين استلمني عمي وتولى تربيتي وتعليمي بنفسه. فكنت لا أفارقه وحفظت فنون العلم المهمة مع استمرارتي في حفظ القرآن مع فهم مفرداته وغريبه. وكنت

¹ - البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة، شركة دار الأمة للطباعة، ط1، الجزائر، 1994، ص 207.

² - المصدر نفسه، ص 208.

أحفظ معه ألفية ابن مالك ومعظم الكافية له. وألفتني ابن معطي الجزائري والحافظ العراقي في السير والأثر وأحفظ الكثير من شعر أبي عبد الله بن خميس التلمساني. ولم يزل عمي يتدرج بي من كتاب إلى كتاب تلقينا وحفظا حتى بلغت الحادية عشر فكان يقرئني من كتب التراجم وأخذت أنساب العرب وأدبهم الجاهلي والسيرة النبوية.¹

ولما مات عمي شرعت في تدريس العلوم التي درستها عليه وأجازني بتدريسها وعمري أربعة عشرة سنة لطلبته الذين كانوا زملائي في الدراسة وانثال طلبه العلم من البلدان القريبة منا . ودمت على تلك الحال إلى أن تجاوزت العشرين من عمري.

تأقت نفسي إلى الهجرة إلى الشرق. واخترت المدينة المنورة فالتحقت بوالدي إليها متخفيا سنة 1912 كما خرج هو متخفيا هاربا من ظلم فرنسا ومررت بوجهتي هذه بالقاهرة فأقمت بها ثلاثة أشهر. وحضرت بعض دروس العلم في الأزهر وعرفت أشهر علمائه، الشيخ سليم البشري، والشيخ محمد بخيت، والشيخ الدجوي والسماطوي، السعيد الموجي، وزرت أحمد شوقي وحافظ إبراهيم.²

وبعد ما قصدت المدينة المنورة سنة 1911 وطففت بحلق العلم فلم يرق لي شيء منها،³ ولم أجد علما صحيحا إلا عند رجلين هما شيخاخي: الشيخ عبد العزيز الوزير التونسي والشيخ حسين أحمد الفيظ أبادي الهندي.

وبالجملة فقد كانت إقامتي بالمدينة المنورة أيام خير وبركة علي. فقد كنت أنفق أوقاتي الزائدة في إلقاء دروس في العلوم كالنحو والصرف والعقائد والأدب.⁴

1 - الشيخ البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة، ص 212.

2 - المصدر نفسه، ص 210.

3 - المصدر نفسه، ص 211.

4 - المصدر نفسه، ص 213.

وحيث جاءت الحرب العالمية الأولى في سنة 1917. خرجت مع والدي إلى دمشق. وكان أول ما يعنيني لقاء رجال العلم ... ثم حملني إخواني على إلقاء دروس في الوعظ والإرشاد بالجامع الأموي. فسمع الناس شيئاً لم يألوه ولم يسمعه إلا في دروس الشيخ بدر الدين الحسني. ثم دعتني الحكومة الجديدة إلى تدريس الآداب العربية بالمدرسة السلطانية وتلقى عني التلامذة دروساً في الأدب العربي الصميم، وقد تخرج عني جماعة من الطلبة هم اليوم عماد الأدب العربي في سوريا منهم: الدكتور جميل صليبا، ود. أديب الروماني، ود. المحاييري، ود. عدنان الأتاسي.¹

في هذا الجو المفعم بالحيوية والنشاط عاد الشيخ الإبراهيمي إلى أرض الوطن بعد رحلته المشرقية العلمية المثمرة. هناك وجد رفيق دربه قد قطع شوطاً معتبراً من خطة الإصلاح التي اتفقا على مضمونها. فتوالت لقاءاتهما وتواصلت مشاوراتهما تارة في قسنطينة وتارة في سطيف، وتتويجا لهذه المشاورات. فكر ابن باديس وقرر أن يخطوا خطوة عملية تكون تمهيدا للشروع في التحضير لتأسيس جمعية وأبدى عزمًا على هذا بأن طلب عام 1924 من الشيخ الإبراهيمي وضع القانون الأساسي للجمعية باسم الإخاء العلمي يكون مركزها العام بمدينة قسنطينة. تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم وتقارب بين مناحيهم في التعليم والتفكير وتكون صلة تعارف بينهم ومزيلة للأسباب التناكر والجفاء.²

كانت أول دعوة يدعو إليها الإبراهيمي. لأنه أيقن تمام اليقين منزلة القرآن بأنه نبراس للعقول. وهاديتها إلى المجد والفلاح. وأدرك أن بالقرآن سعادة الأمة. وأن شقائها وهوانها في غيره. "أما أن المسلمين الأولين سعدوا بالقرآن وإتباع الرسول (ص) فهذا ما لا مرأى فيه. وهو في الحقيقة العارية التي جلاها التاريخ على الناس من جميع الأجناس، وزكاها بشاهدين من

¹ - الشيخ البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة، ص 214.

² - أحمد بطاط: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار النشر المؤسسة الصحفية بالمسيلة، الجزائر، 1912، ص 30-

آثار العلم ونتائج العقل فان احتمل أن يجهل هذه الحقيقة جاهل فهم سواد المسلمين قبل غيرهم. وان وقف باحث عند الظواهر السطحية وقال سعدوا بالاتحاد مثلاً قلنا له: وما الذي وحدهم بعد ذلك التفرق الشنيع غير القرآن؟ أو قال قوم استيقظت فيهم عواطف الخير ونوازع الشرف حين ماتت في الأمم فسادوها وقادوها قلنا له: نعم ولكن ما الذي أيقظ فيهم تلك العواطف وتلك النوازع وما هم إلا ناس من الناس، بل قد كانوا قبل القرآن أضل الناس".¹

فالإمام البشير رحمه الله يؤكد على التمسك بالقرآن والسير على نور هديه هو الضمان للسعادة بنوعيتها .

فالسابقون أخذوا جزائهم لما عاشوا بالقرآن. ثم يدعوا الدعاة إلى الدعوة إلى القرآن لأنه أفضل منهج للدعوة إلى القرآن هو المنهج القرآني ذاته، فيقول: "...وليسلك الدعاة سبيلهم إلى نفوس الناس بهذه الأوصاف. عدد أوصافاً قبل هذا الكلام الرائعة من هذه الآيات الجامعة فان ذلك أدعى للتأثير والتأثر وأبلغ في باب التشويق من كل تبويب في الكلام وتزويق

" 2 .

دعا الإبراهيمي للتمسك بسنة المصطفى (ص) لأنها المحجة التي ترك عليها هذه الأمة وهي بيان على حبه، والابتعاد عن طقوس الجهل والشرك وهو يرى أن "...الحب الصحيح لمحمد (ص) فهو الذي يدع عن البدع ويحمله على الاقتداء الصحيح، كما كان السلف يحبونه فيحيون سنته ويؤدون عن شريعته ودينه، من غير أن يقيموا له الموالد وينفقوا فيها الأموال الطائلة التي تفتقر المصالح العامة إلى القليل منها فلا تجده".³

¹ - آثار البشير الإبراهيمي: ج1، تقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ص88.

² - المرجع نفسه، ج1، ص229.

³ - المرجع نفسه، ج2، ص341.

وبين أن الطريقة الصحيحة للتعبير عن حبه (ص) عمل بالقرآن . لأن محمداً كان قرآناً يمشي بين الناس "أيها الإخوان: أن نبينا منا لقريب لو جعلنا الصلة بيننا وبينه حبل الله القرآن، فقد تركه فينا ليكون النور الممتد بيننا وبينه".

ليس الأفضل بعد إتباع الرسول الأمين من إتباع العلماء الصالحين الذين عاشوا بهذا الدين وله، فكانوا مجددين للأمة ومضيئين لطريقها فأيقن الشيخ ذلك ودعا الأمتين الجزائرية والإسلامية للاقتداء بسير الصالحين والعلماء. للخروج من الضياع والاستعباد. وهلاك المال والأولاد فخطب قائلاً: "إن من البر لأنفسنا أن نذكر مع كل المشاركة عظمائنا ومصلحينا الذين كان لهم أثر مشرق في تاريخنا وأن نحبي ذكرياتهم لنحيا بها . ونأخذ العبر منها، ونجعلها دليلنا إذا أظلمت علينا السبل وقدوتنا إذا أوعز الإمام القائد..."¹ لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه. في دنياهم وعملوا لأخراهم بتعمير أوطانهم .

لقد أولى الشيخ الإبراهيمي اهتماماً كبيراً للغة العربية فقد عرف بحبه للغة العربية وظهر جلياً في كتاباته وخطاباته التي ألقاها. ولشدة تيقنه أن اللغة هي أساس الهوية. وركن الانتقاء لهذه الأمة فقد قال: "إن هذه الأمة تعتقد وتموت على اعتقادها، أن لغتها جزء من كيانها السياسي والديني، وشرط في بقائها وقد التقى على الكفاح في سبيلها الدين والسياسة فلم يختلف لهما فيه رأي، ولم يفترق لهما قصد، وما هذا القرار بالذي يشفي من مرض أو يوفي بغرض"².

والشيخ نظرته للتحرر شاملة -من تحرير للإنسان- وتحرير الأرض -وتحرير الفرد والمجتمع وتحرير الرجل والمرأة، وتحرير العقل والبدن، والتحرير من الاستعمار بنوعيه الداخلي والخارجي، وهذا ما عملت على تثبيته جمعية العلماء المسلمين في دروسها وخطبها

¹ - آثار البشير الإبراهيمي، ج 1، ص 194.

² - عيون البصائر: ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1981، ص 313.

ومحاضراتها وكتابتها فأحبوها بعدما قرب موتها وتم نشرها بين الناس وليس إحساسه بالحسرة يوم 8 ماي يوم ذكرى المجزرة الأليمة: "يوم مظلم الجوانب بالظلم مطرز الحواشي بالدماء المطلولة، تقشعر الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمسها طبيعتها فلا حياة ولا نور".¹ وقد قسم الاستعمار إلى داخلي روحاني تقوم به جماعة يصلون لقبلتها وغايتهم الإساءة للأمة وصددها عن العلم وهم شيوخ الطرق الصوفية، والثاني استعمار مادي تقوم به حكومة الجزائر باسم فرنسا وصددها للأمة عن العلم وهجر القرآن وابتعادهم عنه: "إن أعظم مصيبة أصابت المسلمين وهي جفاءهم للقرآن وحرمانهم من هديه وآدابه منشؤها من الطرق (الصوفية) فهي التي غشت المسلمين لأول ما طاف بهم طائفها. وغشيتهم بهذه الروح الخبيثة روح التزهيد في القرآن".²

وحدة الأمة هي سبيل التحرر من أسر المستعمر والأمم الإسلامية على اختلاف أجناسها ولغاتها تفاخر بالدين واللسان العربي. وحب الشيخ لأمة فاق كل التوقعات وحرقته على فلسطين بادية في أغلب كتاباته مثل ما قال: "يا فلسطين، إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية. وفي جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبرات هامية. وعلى لسان كل مسلم جزائري في حقل كلمة مترددة وهي: فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير. قبل أن تكون قطعة من وطني العربي الصغير وفي عنق كل مسلم جزائري لك - يا فلسطين - حق واجب الأداء".³

لقد قام الإبراهيمي باستعمال الأدب كوسيلة لتبليغ دعوته الإصلاحية وإبداء مواقفه السياسية مستخدما براعته اللغوية كوسيلة للتعبير الجميل دون تكلف.

¹ - عيون البصائر ، ج2، ص 369.

² - عبد الحليم عويس: الشيخ البشير الإبراهيمي وجهوده في الإصلاح الديني في الجزائر، مجلة الثقافة، العدد 87، مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة، 1985، الجزائر، ص 360.

³ - عيون البصائر: ص 491.

إن الظروف السياسية التي أحاطت بالإبراهيمي فرضت عليه أن يبلغ آراءه بواسطة الصحافة والخطابة مستعملا اللسان الفصيح في إلقاء المحاضرات والخطب ودروس العلم والتربية. لهذا فقد كتب الإبراهيمي في عدة فنون نثرية كالمقالة والخطابة والرسالة بالإضافة إلى السيرة الذاتية وأدب الرحلات.

كان القرن 20 فترة ازدهار فن المقالة الأدبية في الجزائر نتيجة عدة عوامل من بينها انتشار الصحافة العربية في الجزائر وانتشار الوعي مما أدى إلى الرغبة في التعبير عن الرأي كذلك وجود صراع فكري بين المثقفين. مما سمح لعدد من الأدباء الجزائريين بالتعبير عن آرائهم بواسطة أسلوب أدبي راق مما أدى إلى رفع مكانة المقالة الأدبية في الجزائر وأصبحت تنافس المقالات العربية. لقد طعن فن المقالة في أدب الإبراهيمي على باقي الفنون النثرية. نظرا لكون الصحافة في تلك الفترة كانت تشكل أهمية كبيرة بالنسبة للأدباء الذين كانوا ينشرون إنتاجهم الأدبي بواسطتها وقد لعبت جريدة البصائر دورا كبيرا في تطوير الأدب العربي حيث كانت لها قيمة تاريخية وأدبية عظيمة، وقد تنوعت مقالات الإبراهيمي بين نوعين من مقالات:

- نوع يأخذ بالأسس البنائية المنهجية للمقالة، تتضح فيه قدرة الإبراهيمي على ترتيب أفكاره منطقيا مع براعة في التوظيف كلمات اللغة وتراكيبها لخدمة الفكرة المقصودة للإقناع المتلقي وإفحام الخصم، يركز فيها على الفكرة قصد التعليم والإرشاد والإقناع.¹

- ونوع يأخذ بالأسس الجمالية الإبداعية للمقالة، يظهر فيها ارتقاء أسلوبه الأدبي، وبلاغة لغته الشعرية. وجمال تصويره مع العناية بالجرس اللفظي والإيقاع الموسيقي، يخاطب الشعور والوجدان أكثر مما يخاطب العقل وهي تتعلق بالموضوعات الأكثر ارتباطا بحياة

¹ - عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2009، ص 35.

الأديب في أفراحه وأحزانه. لمقالاته في محنة فلسطين ومحنة 8 ماي ومرآثيه لبعض الشخصيات الإسلامية وهجاء مناوئيه من الطرفين والاستعماريين.¹

الخطابة فن نثري قديم ارتبط بالأدب العربي منذ الجاهلية واستمر حتى عصر الدعوة الإسلامية وارتبط هذا الفن بواقع الحياة العربية. واستمر كذلك مرتبطاً بالوعظ والدعوة إلى الإسلام ويتراوح مستواه بين الضعف والقوة. على حسب الواقع الأدبي العام. فلما كان عصر الضعف أصيبت الخطابة بما أصاب الأدب عامة ضعف عام في اللغة وركاكة في التعبير وميل إلى التكلف والصنعة وجمود في القرائح والإبداع، فصارت الخطابة قوالب جاهزة لا يغير الخطاب منها إلا العنوان والأسماء.² وتعتبر الفترة الزاهرة من عمر الخطابة في عهد الاحتلال هي فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، تميزت بنشوء الجمعيات والأحزاب المختلفة والنوادي الثقافية.

وتزعزعت الخطابة الجزائرية في كنف جمعية العلماء المسلمين، لتوفر أجواء النمو والازدهار وقد كان الإبراهيمي رائدا لهذا الفن لما تميز به من صفات الخطيب الناجح فقد كان فصيح اللسان وساعده في ذلك تحصيله اللغوي وبراعته في إعطاء الأمثال ولحسن وضعها في مضاربيها مع القدرة على التصرف في الكلام وطرائقه والتزام الارتجال، ولهذا ضاعت العديد من خطبه لكثرة ارتحاله وعدم استقراره في بلد واحد "...فإنني أجد من السهولة ومواتاة الكلام في مواقف الخطابة مالا أجده في مواقع الكتابة ثم جاءت العادة والمران فأحكما ذلك في طبعي ومرد ذلك في نفسي وفي حكمي إلى أنني أجدني في الخطابة مأخوذا وهي لا تدع المجال للروية والتحكيك وعرض الأساليب واختيار أحسنها وقد يعين المرتجل على الارتجال شعوره بأن الارتجال مصحوب بالعدر وأن كلامه وألفاظه أعراض

¹ - المرجع نفسه، ص 36-37.

² - محمد مهداوي: البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، دار الفكر، مصر، 1988، ص 47.

تتقضي فلا يستطيع السامع أن يحاسب على دقائقها ولا تبقى من المحاضرة إلا الصورة الكلية المجملة وليست الكتابة كذلك...¹.

ومن الذين استمعوا لخطب الإبراهيمي ويؤكد على تمكنه من هذا الفن فقد ذكر الأستاذ أحمد سهيل "أن الإبراهيمي ألقى خطبه بدمشق في الخمسينيات تحت عنوان (الله والذرة) فلم يكن الحديث عن الذرة مألوفاً في تلك الفترة وكان من بين الذين حضروا الخطبة لفيف من العلماء وقد استمرت الخطبة أكثر من ساعتين، والشيخ ما يزال واقفاً يتناوب الراحة بين رجليه وعصاه والناس من حوله مشدوهون إليه. وما انتهى الشيخ من خطبته حتى قام من وسط الحاضرين الأستاذ علم الدين عز الدين التتوخي، وكان من العلماء المتفتحين يكره شيوخ العمائم كما يكره الكتب الصفراء. وطلب من الإبراهيمي أن يسمح له بتقبيل عمامته تقديراً لشخصه واعترافاً بعلمه وسمو مقامه".²

وتمتاز خطبته بالمنهجية السليمة والصياغة الأدبية والاقتناس والتضمين ويوجد اختلاف بين مقالاته وخطبه في بعض الخصائص وخطبه تخلو من الأسلوب الساخر ومن الألفاظ العامية والأجنبية ولا يوجد فيها السجع الكثير كقوله: "أيها الإخوة الكرام، حياك الله وبياكم وأدامكم وأحياكم وأقامكم للعروبة تصونون عرضها وتستردون قرضها، ولغة تجمعون شتاتها وتحيون مμάτων وترعون على تجهم الأحداث وسفه الحوادث مناتها بهذا المجمع تعلقون بنيانه وترفعون على العمل أركانه". وهذا الأسلوب ممتع ويزيد قيمة عالية للأدب ويصبح إبداعاً ممتعاً إذا أضيف له الإيحاء فيهب عواطف المستمعين كما نجده في قوله: "أيها الإخوة: لقد كانت العربية قبل اليوم وان لرباعها لمحفوة وأن قطاعها لمكفوة، وان رقاعها لغير ملتامة ولا مرفوة ولقد كانت تلقي الأذى من الغريب المتمتر ومن القريب المتتكّر".³

¹ - آثار الإبراهيمي: ج4، ص 109.

² - محمد مهداوي: البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، ص 151.

³ - عيون البصائر، ص 164.

ويبدو أسلوبه يجمع بين الإيحاء والإيقاع الجميلين ويبدو اعتماده على الكناية والاستعارة ويجب علينا الاعتراف أن أسلوبا ارتجاليا كهذا يجمع بين المتعة والرفعة لجدير بالاعتراف بعبقرية صاحبة وتمكنه من مقاليد اللغة ووسائل التعبير.

الرسالة فن نثري قديم وهو صنفان :

* صنف الرسالة الرسمية الديوانية (الإدارية) وهي تخلو من الأسلوب المتأنق والصياغة الأدبية.

* وصنف الرسالة الذاتية الاخوانية التي يمكن أن نسميها بالرسالة الفنية لما تتوفر عليه من عنصر الذاتية والعاطفة الذي يدفع الكاتب إلى تخير ألفاظه وانتقاء عباراته وتزيين أسلوبه.¹

وهذا الفن اشتهر به الحافظ والهمذاني. ويعد الإبراهيمي من اللاحقين بركب هذا الفن في العصر الحديث والذي استطاع ببراعته في الكتابة الأدبية وقوة في التعبير والتفكير وقدرة فائقة في التصوير مكنه من الصعود بالنثر الأدبي في الجزائر إلى مصافي أقرانه في الوطن العربي، وما وصل من رسائل الإبراهيمي عدد قليل أفلت من الضياع والذي من خلاله نستطيع أن نكتشف بعض جوانب خصائصه كقوله: "سلام يتنفس عنه الأفاح بأزهاره وإبراقه ويبتسم عنه الصباح بنوره وإشراقه، وثناء يتوهج به من عنبر الشجر عبيره ويتبل جبه من بدر التمام، على الركب الخابط في الظلام، منيره ... وسحائب من الرحمات تنهل سواكبها. وكتائب المبشرات تزجي مواكبها ... وسوافح من العبرات تتحل عزاليها، ولوافح من الزفرات تسابق أواخرها أواليها ... على الحدث الذي التأمّت جافتاه على العلم الجم والفضل العد.

¹ - عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، ص 49.

ووارى ترابه جواهر الحجار والذكاء والعزم والجد، وطوى البحر الزخار في عدة أشبار فأوقف ما لا حد له عند الحد...¹

بهذه النسومات الندية والعبرات السخية يفتتح الإبراهيمي رسالته الرثائية، فإذا بنا ندخل معه في انفعالاته وأحزانه فلا نملك مفرا من التأثر، فتحالفت لأجل هذه الأصوات والألفاظ والعبارات والصور فيوحي الكل بالحب العظيم لهذا العالم الفائض بالعلوم والخيرات ويمضي الإبراهيمي على هذا النحو من الإيقاع الموسيقي الساحر، والتصوير الفني البديع يعدد مآثر ابن باديس ويصور عاطفته المكثومة يخاطب صاحبين متخيلين حيناً، والقبر حيناً آخر وساكن الضريح حيناً آخر، بأسلوب واحد في رفته وقوته وجماله وإيقاعه.² كقوله: "يا ساكن الضريح مت فمات اللسان القول والعزم الصوال والفكر الجوال ومات الشخص الذي كان يصطدع حوله النقد ويتطاير عليه شرر الحقد، ولكن لم يمت الاسم الذي كانت تققع به البرد وتتلى به القوافي الشرد ولا الذكر الذي كانت تطنطن به الأنباء وتتجاوب به الأصداء ولا الجلال الذي كانت تعنوا له الرقاب وتنخفض لمجلاه العقاب ولا الدوي الذي كان يملأ سمع الزمان ولا يبيت منه إلا الحق في أمان".³

وهذه الرسالة جمعت خصائص المقالة في الطول والمنهجية كما تحلت بخصائص المقامة في الإيقاع والجناس وتشابهت مع الرسالة الأدبية في الذاتية والطابع الخطابى، وهذا نموذج آخر من رسائله "حي الجزائر عن ياصبا... وأحمل اليها مني سلاما تبارى لطافته لطافتك وتساري اطافته اطافتك، فقديمًا حملك الكرام الأوفياء مثل هذه التحية إلى من يكرم

¹ - عيون البصائر: مصدر سابق، ص 654.

² - عبد الملك بومنجل: النشر الفني عند البشير الإبراهيمي، ص 51.

³ - عيون البصائر، ص 658.

عليهم وأما يكرم عليهم فحملتها روحا، وأديتها بوحا وأعلنتها شذى وفوحا، وكنت بريد الأرواح إلى الأرواح، بألفاظ غير مكتوبة ومعان غير مكدوبة".¹

وهي تبدو مليئة بالعاطفة الحارة والإيقاع المحلى والأسلوب الجميل وبهذا فلقد قام الإبراهيمي بإحياء هذا الفن بعدما كاد أن يندثر واهتمامه به جعله يرقى إلى أعلى الدرجات، فصار هذا الفن في الجزائر من الفنون الجميلة وتخلص من الركافة اللغوية التي كان يتميز بها، فمنحه أصالته العربية بما تزخر به من بيان وجمال وخيال.

بالإضافة لهذه الفنون، فقد بدع الإبراهيمي في أدب السيرة الذاتية وأدب الرحلات بالنسبة لسيرته الحياتية كانت على شكل مقالات يعبر فيها عن ذاته ويتحدث عن فكره وشعوره وتجاربه وآرائه وذكرياته والأعمال التي قام بها، وأهم مقالة برزت فيها سيرته الذاتية هي من تكلم فيها عن معهد عبد الحميد بن باديس وفي مقال آخر بعثه كرسالة إلى إخوانه بالجزائر حين كان في الشرق بعنوان (تحية غائب كالأيب) يتحدث عن ذاته ويعبر عن مشاعره الحزينة وحنينه إلى بلاده ووفاءه لوطنه وإخوانه مسترجعا ذكرياته فيخاطب بلاده مناديا (يا أم) مناجيا: "...ولا تنسى أنني عشت غيظا لعداك وشجي في حلوهم، وكدرا لصفوفهم، وأني ما زلت أقارع الغاصبين لحقك في ميدان، وأكافح العابثين بحرمانك في ميدان وأعلم الغافلين من أبناءك في ميدان، ثلاث ميادين، استكفيت فيها فكفيت".² وهنا يظهر طغيان النزعة الذاتية في بعض كتاباته .

كان للإبراهيمي عدة رحلات إلى بعض البلدان الإسلامية وباكستان كانت أول الانطلاقة فيسجل ما شاهده وسمعه في مذكرات لم ينشر منها إلا القليل،³ وتتميز هذه المذكرات بمنهجية الإجمال ثم التفصيل مع الإكثار من المعلومات والملاحظات وما يقابله

¹ - المصدر نفسه، ص 482.

² - عيون البصائر، ص 484.

³ - عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، ص 56-57.

من شخصيات وما يلاحظه من تقاليد وما يعجبه من مناظر ،فكان أسلوبه أنيق الصياغة يبعث القارئ متعة وارتياحا جميل الأسلوب كثير السجع، فصيح اللغة كقوله بعدما قضى أسبوعا في كراتشي : "... وكل جمع إلى افتراق فما تم ذلك في الأسبوع الزاهر الذي خففت عنا مجالسه وطأة حرارته حتى بدأت الخيام تقوض، وأصبح الذهاب من الأيام والرفاق لا يعوض ...ورأيت أن ذلك الأسبوع كان استجماما من نصب السفر، وقد آن أن أبدأ العمل الذي من أجله قدمت وفي سبيله أقدمت، وهنا تجلت المعضلة، وحلت المشكلة مشكلة اللغة التي هي وسيلة الفهم والتفاهم، فلنتحدث عنها ..."¹.

ويستعمل الإبراهيمي في سرد رحلاته الأسلوب الإخباري المباشر، معتمدا على الواقعية والتسجيل مع الوضوح في اللغة والتراكيب مع استعمال الخيال والوصف أحيانا.²

¹ - آثار الإبراهيمي، ج4، ص 27.

² - عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، ص 56.